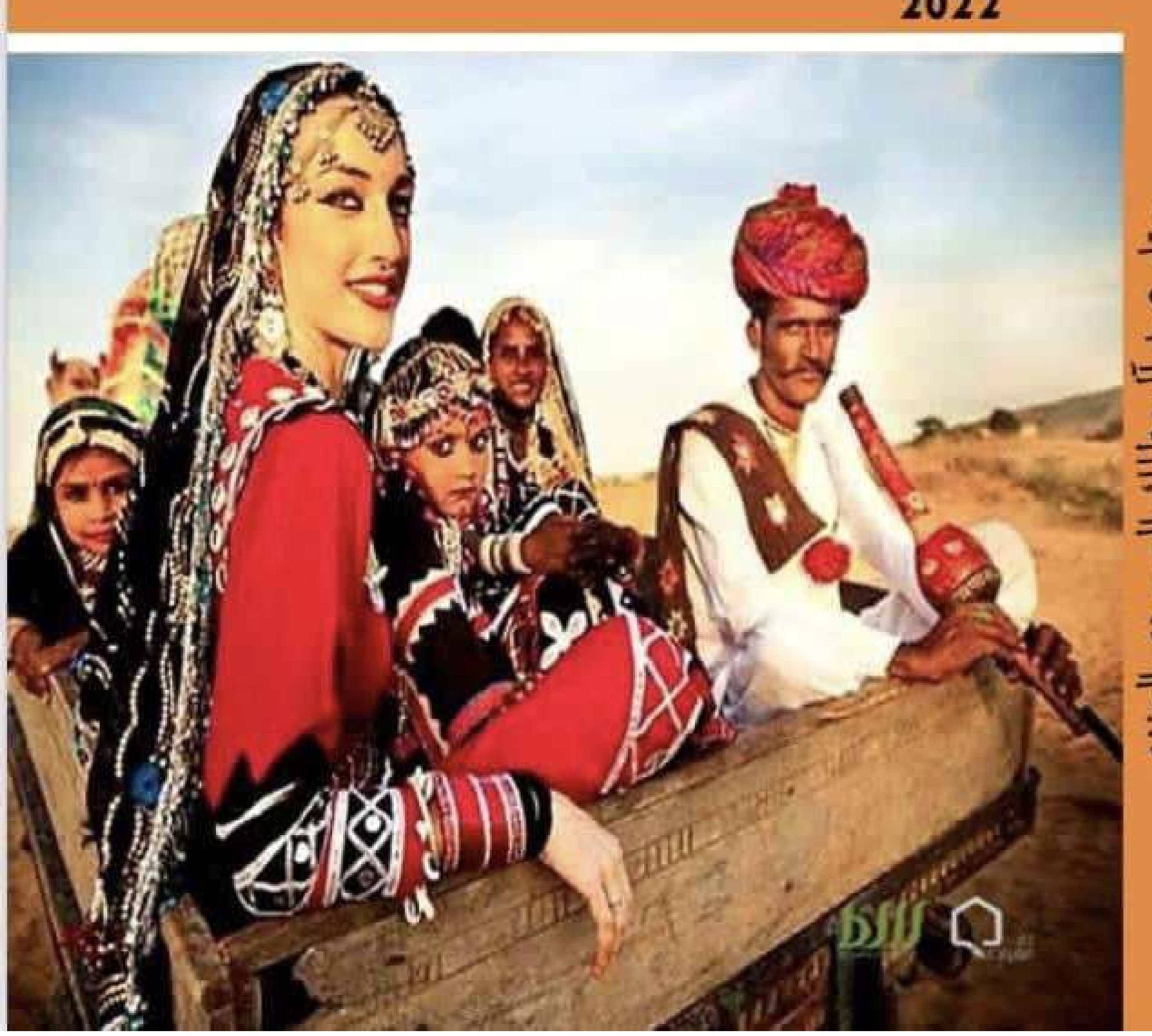
ستار عبيد آل مطلك العربودي العنزي

شعب الغجر

2022



شعب الغجر
ستار عبيد آل مطلك العربودي العنزي

ستار عبيد آل مطلك العربودي العنزي

شعب الغجر

٢٠٢٢م

شعب الغجر

بسم الله الرحمن الرحيم

فإذا نفخ في الصور فلا أنساب

بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

صدق الله العظيم

سورة المؤمنون الآية ١٠١.

٢٢٤/٧٣

ع/ ٨١١ العنزي، ستار عبيد مطلك العربودي
شعب الفجر
ستار عبيد آل مطلك العربودي العنزي
العراق/ بابل: دار الفرات للثقافة والاعلام، ٢٠٢٢م
ali.abas505@yahoo.com /07707311570

م/ و
٢٠٢٢ /٣٨٢٢

ISBN: 978-9966-4664-9-0

المكتبة الوطنية/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٨٢٢) لسنة ٢٠٢٢م



شعب الفجر

ستار عبيد آل مطلك العربودي العنزي

الطباعة: دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل

بالاشتراك مع دار سما للطبع والنشر والتوزيع

Al-Furat House for Education and Information

Iraq — Babylon

أبو العتاهية يقول

نأتي إلى الدنيا ونحن سواسية

طفل الملوك كطفل الحاشية

ونغادر الدنيا ونحن كما ترى

متشابهون على قبور حافية

أعمالنا تعلي وتخفض شأننا

وحسابنا بالحق يوم الغاشية

حور وأنهار وقصور عالية

وجهنم تصلى ونار حامية

فأختر لنفسك ما تحب وتبتغي

مادام يومك والليالي باقية

وغداً مصيرك لا تراجع بعده

إما جنان الخلد وإما الهاوية

الإهداء

الى الأقليات والشعوب

المضطهدة في جميع

أنحاء العالم

المؤلف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الكون نبينا محمد وعلى آل بيته وصحبه اجمعين.

وبعد. من صفاة الباحث الجيد الخوض في محاور متنوعة بالكتابة حتى وان كان الموضوع الذي يرغب العمل فيه يحمل نوعاً من الجرأة فعادةً عندما ترغب الحديث عن فئة من المجتمع تعيش بيننا لها حقوق وعليها واجبات بغض النظر عن بعض سلوكياتهم التي نشأوا واعتادوا عليها فكل انسان له جانب سيء من حياته لكن مؤكد لديه جوانب اخرى يتميز بها عن الآخرين، عندما نسمع كلمة غجر يتردد في اذهاننا مباشرة الجانب السيء من حياتهم مع انه ليس جميع الغجر يأتون الفاحشة، يوجد بينهم أسر لم تسلك هذا الأمر منذ البداية واخرى تركته منذ زمن بعيد وفق متغيرات الزمن لكن هذه الفئة من المجتمع التي تشاركنا في الأرض والمأكل والملبس والدين وحتى المذهب مؤكد لديها جوانب اخرى نحن لانعرف حقيقتها، الأمر الذي جعلنا نخوض خفايا وميزات حياتهم

ونبحث عن ماضيهم وحاضرهم وعاداتهم بشكل واسع، وبديهياً هذا الأمر يتطلب مجالسة الغجر وزيارة بعض مساكنهم التي نشأوا فيها واللقاء بنسائهم قبل رجالهم ومعرفة حقيقة ما يقال بأن عادات الغجر تنتقل من الأم الى ابنتها فضلاً عن البحث بأدق تفاصيل حياتهم والوقوف على واقع هذه الفئة من المجتمع دون التردد من ذلك باعتبارنا باحثين في مجال التاريخ والعشائر ومختصين بهاذين الجانبين، من هنا نؤكد على الباحث او المؤرخ او الكاتب أن يكون اميناً وعادلاً في بحثه ولا يتخلى عن جانبه الانساني فإن المجتمع بكل شرائحه هو مادة التاريخ الأساسية على اختلاف مواقعهم واشكالهم وانتماءاتهم واصولهم، فإننا نرى من العدل والأنصاف أن تأخذ شريحة الغجر وخاصة في العراق حصتها من التوثيق ونتجاوز حساسية الموضوع كي لا تبقى العشائر الغجرية في الظل ثم في طي النسيان وفسح المجال للأساطير المنسوجة ضدهم وحتى التي هم نسجوها عن انفسهم وان كان بعضها بالإمكان قبوله بتحفظ شديد، فتأخذ هذه الروايات مأخذها ضدهم وتصبح حقيقة لا خلاص

منها مستقبلاً وفي سير الحديث جذب انتباهي مقولة ذكرها الأستاذ (فهد عامر الأحمدي) في كتابه الفلسفي (نظرية الفستق) يقول(يجب أن تكون صاحب احلام كبيرة وخيالات جريئة لتصل في النهاية الى انجازات حتى وان كانت اقل من طموحاتك، افضل من جميع المترددين حولك وحين يجتمع لديك الحلم مع قوة الإرادة لن تحقق اهدافك فقط بل ستجبر العالم على اتباعك واللحاق بك)شعب الغجر هوعالم يكتنفه الكثير من الغموض فكتابنا هذا سوف نزيل فيه اللثام عن جزء كبير من الحقيقة ونتناول العديد من الموضوعات عن الغجر بشكل عام وغجر العراق خاصة سواء كان اسمهم (الكاولية) أو(القرج) حيث سنتناول فيه، اصولهم، هجراتهم، اعدادهم، اسماءهم دياناتهم، عاداتهم، العوامل المؤثرة فيهم، نشاطهم الاجتماعي، ما يواجهونه من مشكلات ووضع المقترحات المناسبة لها.

تنويه

ما نقصده بالجانب السيء من حياة الغجر الذي سوف نتحدث عنه خلال البحث، فهو لا يشمل جميع فئاتهم وإنما يقتصر على الأسر التي سلكت هذا الطريق سواء كانوا من الغجر أم غيرهم، فهناك الكثير من أسرهم لم تتخذ من هذه الصفات والسلوكيات الغير محببة منهجاً في حياتها ومنهم من تركها منذ زمن بعيد، ولهذا فهي غير مشمولة بما سيذكر خلال الكتاب، وبطبيعة الحال فإن الجميع مواطنون عراقيون ويعدون أحد تركيبته البشرية المتنوعة من فئات وطوائف عديدة، وفي نهاية الأمر ليس بيد أحد أن يختار نسبه واصوله فهناك حديث للإمام علي بن أبي طالب ع يقول فيه (الناس صنفان إما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) فبحثنا هذا ليس الهدف منه المساس او الانتقاص من أحد مطلاقاً وإنما لطرح مشكلة فئة من الناس تعد جزء من المجتمع ف(كلكم لأدم وأدم من تراب).

الغجر

عندما خلق الله الأنسان وأنزله الى الأرض أوجد معه نقيض الخير والشر، كأي نقيضين يجريان في دمه ويمتلكان ارادته ويستحوذان على مدركاته العقلية والحسية، كالضحك نقيضه البكاء، والصدق نقيضه الكذب، والحق نقيضه الباطل، والحلم نقيضه الغضب، والحب نقيضه الكره، وعادة ما تكون بذور الشر أسبق الى نفس الإنسان من بذور الخير[١] لهذا عندما نخوض في تاريخ جميع فئات الكرة الأرضية بما فيها الغجر نصل الى حقيقة دامغة ان الشر هو الاكثر من الخير بغض النظر عن تعددالديانات والطوائف والقوميات.

اغلب الدراسات والبحوث التي صدرت بخصوص شعب الغجر مع قلتها وبشكل ملحوظ[٢] لم تسر بالمنحنى المطلوب ولم تأتي بثمار مرجوة ولا نستطيع القطع في العوامل التي سببت ذلك، فهي تتعدد بتعدد الاتجاهات والأهداف التي قام بها الباحثون ومن اجلها بادروا

١- ستار عبيد المطلك العربودي العنزي، تأريخ بابل وعشائرها، ص٤٦.

٢- الدكتور طه حمادي الحديثي، الغجر والقرج في العراق، ص٣.

بكتابة بحوثهم التي لم نجد في الكثير منها سوى اساطير وعادات من وحي الخيال وكأن شعب الغجر قد جيء به من كوكب آخر لا من بلاد الهند التي يبلغ عدد سكانها بحدود ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة حسب آخر تعداد، وفيها قرابة ١٨٠ ديانة مختلفة، وهناك بحدود ٤٦١ لغة، منها ٢٢ لغة رسمية معترف بها وبحدود ١٤ لغة قد انقرضت، وجعلوا في كتاباتهم كأن شعب الغجر لا ينتسب لأبوي البشر آدم ونوح لكن مع ذلك سنتناول ماذكر في المصادر والبحوث التي نشرت لغرض الاطلاع عليها، وسيكون لنا رأي آخر بهذا الخصوص.

ارتبط اسم الغجر بالكثير من الصور النمطية ولايزال في دوائر المثقفين في الشرق كما في الغرب تحاك حولهم اساطير يرى فيها البعض نوعاً من الإثارة، كما اشتهر تأريخ الغجر بأنه مليء بالأحداث الدموية والتراجيدية تتراوح بين تهجير وطرد واعتقال وقتل وكانت اشهرها خلال العصور الوسطى ثم تلتها المحرقة التي قام بها النازيون في حقبة الحرب العالمية الثانية.

غجري اسم الجمع، غجر، المؤنث غجرية، والجمع للمؤنث غجريات وغجر[1] وصفهم البعض بانهم قوم جفاة متجولون منتشرون في جميع القارات يتمسكون بتقاليدهم الخاصة ويعتمدون في معاشهم على التجارة او عزف الموسيقى وقراءة البخت او الاحتيال والتسول فضلاً عن بعض الصناعات الخفيفة وهم جماعات من الرحل تسكن الخيام وتتنقل في ارجاء البلاد او الدول من مكان الى آخر استجابة لحاجة نفسية موروثة او لمقتضيات العيش[2] وتفضل إبقاء حراكها ضمن حدود الاقليم المكون من دولة او اكثر مما اختارته منزلا لها إلا إذا اضطرت الى الهجرة بسبب الاضطهاد والطرد او لغرض لم يفصح عنه، غير ان كثير من الغجر تأثروا بأنماط عيش الشعوب التي ساكنوها بوسائل المدنية فتحولوا الى الحياة الحضرية وهجروا عيش الترحال وسكنوا البيوت في المدن والقرى واحترفوا حرف اهلها لكنهم بقوا على اتصال وثيق ببعض تقاليدهم الموروثة عن هجرتهم الأولى وهو اتصال مقرون بالحنين والتوق الى عالمهم القديم.

١- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص١١٦٦.

٢- الدكتور حميد الهاشمي، تكييف الغجر، ص٩٣.

كان الغجر اميون وعامتهم ذو مظهر خارجي متشابه يتسم بالبشرة الداكنة المائلة الى السواد تدرجاً من اللون الزيتي الى البني في حين ان بينهم مجموعات قليلة ليست كذلك، وليس للغجر ملابس قومية ولا تختلف ملابسهم عما يستعمل في بلاد عيشهم وكثير منها مستعمل او مستجد ونساؤهم تلبس ألبسة فضفاضة مزركشة لها طابع مميز وكثيرون منهم يهتمون بالحلي وانواع الزينة، ومعيشتهم كانت بسيطة جدا كما بساطة الحياة في مساكنهم وهم يسكنون الخيام لأنها سهلة النصب والفك والتحميل وتقسم بعوازل خفيفة ما يعادل غرفتين او ثلاثاً حسب عدد الزوجات والأولاد وتحتوي أثاثاً متواضعاً من البسط والفرش والمساند وادواتهم المنزلية تكون قليلة وطعامهم خشن ويؤثرون اكل الدجاج الذي اتقن كثير منهم سرقته ويهتم الغجر اهتماما خاصا بالنظافة، ويكسبون الرزق من قراءة الكف والتنجيم وخدمة الوشم والكدية والسرقة وممارسة بعض الحرف مثل صنع السيوف والسلاسل الحديدية والاوعية النحاسية والامشاط والمصاغ الزائف والحيل البهلوانية والشعوذة وترويض الحيوانات من

قردة ودببة وخيول وعندهم حرف معدنية اخرى، وفوق كل ذلك يولون عنايتهم الى مهارات الجسد بالرقص والغناء والموسيقى لأنهم يعتمدون عليها في تحسين دخلهم المادي وتدبيرأمورهم وقد اختصت كل مجموعة غجرية بمهارات خاصة اكثر من غيرها[١].

فالغجر الكالديراش[٢]مثلاً هم فئة من الناس مهروا بالحدادة والجيتان وكذلك بالموسيقى والرقص والغناء مع الأخذ في الحسبان ان كثير من الممارسات والحرف مشتركة بين المجموعات كلها تقريبا وللغجر اعيادهم الخاصة مثل عيد بدء الربيع او اعياد أخذوها من ديانات اخرى واعتنقوها كبعض اعياد المسلمين وعيد القديس(جرجيوس) المسيحي وتخضع ظروف حياتهم لحالة طقس البلد الذي نزلوا فيه ولحالته الاقتصادية وكان كثير منهم يتنقل في عربات خشبية تجرها الدواب ومنهم اصبح يستعمل السيارات في جر منازلهم الخشبية (المقطورة) وينعقد نظامهم الاجتماعي حول الأسرة الصغيرة التي تتصل بمجموعات اسرية اخرى اكبر منها تسمى (أنساباً) ويؤلف

١- خليل صويح، اوديسة الغجر، ص٦٣.

٢- جمال حيدر، الغجر ذاكرة الاسفار وسيرة العذاب، ص٤١.

رؤساء الانساب مجلسا للكبار يسمى في دول الغرب (كريس) ومن مهماته سلطة المحاكم في فرض العدالة وحفظ وحدتهم الثقافية المهددة المجرحة والمهزأة من الشعوب الحضرية عن طريق متابعة المجلس تنفيذ القواعد التقليدية بصرامة، وعلى خلاف الشائع تخضع بعض الجماعات الغجرية لقواعد خلقية صارمة تم تجاهلها من غيرهم بالجهل والحقد[١] ولنساء الغجر معرفة بالأعشاب المفيدة طبياً وطريقة صناعة ادويتها، ولها في الأسرة مكان مرموق يعادل مقام الرجال ويفوقه احياناً، لذلك ان مهمة الكسب تقع في اغلب الجماعات الغجرية على عواتق النساء وأبنائهن وخاصة النساء، أما الزوج يكون بينهم رضائي، وحين يكون هناك خرق فيوجد عقاب صارم وتلحق بالغجر بعض الاحكام المسبقة ولا سيما قبل العصر الحاضر، فأينما حلوا تنبذهم الجماهير وتجور عليهم الحكومات والقوانين وتعاديهم المؤسسات بما فيها الدينية (الكنيسة) والنقابية ويلاحقهم الاضطهاد والطرد والنفي حتى تركوا الاستقرار[٢] وناءوا

١- الأب انستاس ماري الكرملي، اطلاع الحضر على اطلاع النور، ص ١٨.

٢- انيس منصور: نحن أولاد الغجر: ص٩١.

عن الانتماء الى أية جنسية، ويعد تاريخ الغجر حافل بالمآسي والنكبات وهبات القسوة المجنونة والاتهامات الطائشة الظالمة التي تعصف بهم بين الحين والآخر والتي بلغت ذروتها في السياسة العنصرية النازية الالمانية حين ابادت منهم منهجياً ما يقدر بنصف مليون شخص في حقبة الحرب العالمية الثانية وما قبلها وكان طبيعياً في مثل هذا الواقع المر المتواصل تاريخياً ان تظهر بين الغجر اعراض هذا الجور إما بدافع الحاجة او نتيجة ردة الفعل النفسي المكبوتة من ممارسات منحرفة ونشاطات اجرامية كالاحتيال والسرقة لكنهم قلما يرتكبون القتل او يلجؤون الى العنف وربما كانت السرقة صادرة من ضرورات العيش او عن اتصالهم بأسطورة دينية غجرية يقدسونها تجيزها شريطة ألا تكون من الفقراء وألا تستهدف شيئا غير ذي نفع، وقد ظهرت في العقود الاخيرة اصوات انسانية تنادي بمعاملة الغجر معاملة انسانية كريمة تدعوا الى تكامل مجتمعاتهم مع المجتمعات القومية الكبيرة حيث يعيشون وتيسير اندماجهم فيها، ومن مظاهر هذا الاهتمام هو ظهور ثلاث دوريات

خاصة بدراسة احوال الغجر وهي دوريات انكليزية وفرنسية وهندية تهتم الهندية منها بدراسة لغة الغجر وثقافتهم على وجه الخصوص غير ان المجتمعات مازالت تمارس ضد الغجر التمييز العنصري الجارح في الخطاب والموقف والمعاملات اليومية، بل ان بعض المجتمعات تعمد الى تحميلهم ظلماً مسؤولية الصعوبات الاقتصادية التي تعصف بالغرب بين الحين والآخر، مما حدى بالغجر الى البحث عن بنى جديدة للدفاع عن انفسهم، مثل تأليف لجنة اممية لغجر(الروم) وانشاء مجلس منتخب من مندوبين عن مجموعات الغجر كافة، يعمل تحت اشراف مجلس اعلى وزعيم أول يسمونه (ملكاً) وفي بادرة رحمة ملحوظة وبغية التخفيف عن معاناة الغجر ولفت الانتباه إليهم، قامت الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٧٧م بتطويب قطعة أرض للغجري(سيفيرينو جيمينيز ميلالا)الذي اعدم في الحرب الاهلية الاسبانية، لأنه حمى كاهناً محليا وأبى تسليم سبحته وهي بادرة تعد امثولة ومسعى لرد شيء من الحقوق الى هؤلاء الناس المظلومين.

منذ عصر احتلال تركيا للمجر بعد معركة(موهاتس) قبل ٤٦٨ سنة تقريباً وتلتها جريمة هتلر واضطهاد الغجر في جميع انحاء العالم الأمر الذي دفع بمثقفي الغجر الى المطالبة بهوية قومية واحدة وتنظيم أطر ومنظمات عالمية للمطالبة بنيل حقوقهم لكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح إلا بعد الحرب العالمية الثانية، عندما تأسس أول اتحاد للغجر في المجر عام ١٩٥٨م ثم تأسست منظمات مشابه في بقية الدول الاوربية مثل، المانيا الغربية واسبانيا وفرنسا والسويد وفلندا وبريطانيا، ثم قام المثقفين والكتاب اليوغسلاف من الغجر بتنظيم أول مؤتمر عالمي لهم في لندن عام ١٩٧١م[١] ونشأ عنه تكوين المنظمة العالمية للغجر، وتم أول اتصال رسمي بين غجر اوروبا وموطنهم الاصلي الهند من خلال وفود زارت المدن الهندية والتقت بعشرات العائلات الغجرية ذات الجذور الممتدة في بطن التاريخ، اما قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها فقد عانى الغجر من اضطهاد كبير حتى ادلف هتلر[٢] طرح مشكلة

١- منير البعلبكي، الغجر في موسوعة المورد، ص١٢١.

٢- مصطفى عمارة، الحقيقة الدولية، ص ٧٨.

التخلص من الغجر بمجرد وصوله الى الحكم عام ١٩٣٣م واقترح تجميعهم في سفن عدة واغراقهم في عرض البحر، ولا تتوفر احصائيات دقيقة حول ضحايا الحرب العالمية الثانية من الغجر لا سيما في المانيا غير ان بعض التقديرات يذهب الى حصدها لما لا يقل عن نصف مليون غجري ما بين قتيل وجريح وساهم في ارتفاع عدد الضحايا اصدار فتوى من(معهد النقاء العرقي) في برلين عام ١٩٣٧م بإبادة الغجر للحفاظ على الجنس الآري، وبطبيعة الحال فإن اعداد كبيرة من الغجر تمكنت الهرب من المانيا وضواحيها الى اماكن اكثر امناً في ما كان يعرف بـ (اوروبا الشرقية) كالمجر ويوغسلافيا وتوسولوفاكيا وبولندا ورومانيا ويبدوا ان الهجرة قد كتبت على الغجر منذ فجر التاريخ، وبقي شعب الغجر يعاني في دول الاتحاد الاوربي حتى عهد قريب من الاضطهاد وتبعات الصورة النمطية السليبة عنهم ناهيك عن تفشي الفقر والجهل وارتفاع نسبة البطالة بين افراد هذا الشعب ما يجعلهم يعيشون حرماناً يشبه ذلك الذي يعيشه سكان افقر الدول حول العالم.

يحتل الغجر مرتبة متدنية في الترتيب العرقي للنظرية النازية فهم عرفوا على حسب قاموس (نورمبيرج) لعام ١٩٣٥م بانهم (شعوب غير آرية) وبالتالي يمنع عليهم الزواج من المانيات، ووصفوا انهم مجموعات منغلقة على نفسها بحسب قانون صدر عام ١٩٣٧م وهي تهمة جنائية يعاقبون عليها حتى وان لم يرتكبوا أية جريمة وكان ان يتم حبس اكثر من(٢٠٠) غجري كل مرة في معسكرات التركيز(١) وبحلول عام ١٩٣٨م أنشأ هتلر مكتبا مركزيا لمكافحة خطر الغجر وكانت الوظيفة الاساسية لهذا المكتب هي فرز الغجر الانقياء من الغجر المختلطين وقد تمت العديد من الممارسات العنصرية ضدهم في ذلك العهد حتى وصل بهم الحال الى وضعهم في معسكرات اعتقال وفي قانون صدر عام ١٩٤٣م يمنع ذكر اسم الغجر بسبب عدم توقع استمرارهم في الحياة ثم أمر هتلر بترحيلهم الى معسكر(اوشفيتز) لكنه لم يسمح بقتلهم إلا في عام ١٩٤٤م(٢) حيث قتل العديد منهم في المعسكرات الاخرى بسبب الجوع والمرض

١- فرهنك انتدراج، معجم فرهنك، ص١٤٢.
٢- خليل اقطيني ، غجر سوريا، مجلة العربي ، العدد ١٢٦، ١٩٦٢.

والتعذيب وآخرين بسبب استخدامهم كمادة للتجارب وفي نهاية الحرب العالمية الثانية مات بحدود خمسة عشر الف غجري من اصل عشرين الفاً كانوا يعيشون في عاصمة المانيا ومثلت هذه الحادثة اقسى عمليات ابادة عرقية في تلك الفترة.

تعرض الغجر لممارسات عدوانية من الشعوب المستقرة على مر التاريخ وتمثلت الاعتداءات عليهم بالترحيل القسري وعدم الاعتراف بهم كمواطنين في البلدان التي يقيمون فيها حيث تم ترحيلهم من مناطق عديدة في اوروبا وقد وصلت قمة الكراهية للغجر بسبب الأمر الذي اصدره ملك بلروسيا في عام ١٧٢٥م ويقضي بقتل كل غجري فوق الثامنة عشر من العمر، ومع تطور المجتمع الصناعي أبان عصر النهضة للصناعات في اوروبا وظهور المجتمعات الحضرية، تعرض الغجر الى مراقبة السلطات في البلدان الاوربية حيث قامت (بافاريا) بإنشاء وزارة مختصة بشؤون الغجر وكانت هي مركز العداء لكل غجري في المانيا حتى قيام النازية في عام ١٩٢٩م واصدار قوانين تلزم الغجر الذين ليست لديهم مهنة ثابتة

في المانيا بالعمل القسري(السخرة) وقد طبق هذا النظام في عدد من الدول الاوربية بعدها.

تنقسم شعوب الغجر بشكل اساسي الى (روم) في اوروبا و(دومر) في الشرق الاوسط بعظهم يتكلم لغة مشتركة قد تكون من اصل هندي وبعظهم له ثقافة وتقاليد متشابه، حتى أواخر القرن العشرين ظلت شعوب الغجر تعيش حياة التنقل والترحال، وللغجر اسماء مختلفة باختلاف اللغات والاماكن التي يتواجدون فيها، وهم يعدون من الشعوب التي تعرضت للاضطهاد وقد قتل الآلاف من شعب الغجر بأغانيهم ورقصاتهم الفضية وعرباتهم المنقوشة بخيولها فاصبحوا ضحايا لم يسأل عنهم أحد ولن يطالب لهم بتعويض.

•- اكثر ما يوصف به الغجر مسؤوليتهم عن صلب المسيح إذ تقول الاساطير حين قرر صلبه، ارسل جنديان لإحضار أربعة مسامير،لكن الحدادين رفضوا صنعها حين عرفوا انها سوف تستخدم لصلب المسيح، فقتل الجنديان حداداً يهودياً وآخر سورياً ثم قابلا حداداً غجرياً فصنع ثلاثة مسامير وحين شرع في صناعة

الرابع سمع هاتفا من الحدادين القتلى يحذرونه من صنع مسمار رابع لكن الغجري صمم على صنعه فتحول المسمار الى نور قوي تركه الغجري فزعاً وحمل خيمته وهرب، وبقي مشتتاً أبد الدهر وجميع ذريته من بعده بقوا دون موطن، هكذا تقول الاسطورة وهي واحدة من اساطير كثيرة عن الغجر[١].

يذكر الدكتور(رايكو جوريتش)[٢] إن الغجر قوم يقتحمون المخاطر ويملكون الجرأة على دخول المناطق الممنوعة والمجالات التي يتخوف الناس من دخولها، مما يتعارض ذلك مع قوانين واعراف هذه الدول فأصبح الغجر مشبوهين واسلوبهم في الحياة مرفوضاً لذلك عندما وصل الغجر الى اوروبا بدأت تصدر القوانين الاستثنائية التي تعزلهم عن المجتمع، فقد كانت الكنيسة الاوربية تعتبر الغجر كفاراً وسحرة ومعاونين للشيطان لذلك تم احراق العديد منهم خلال العصور الوسطى، كما تصفهم التورات بأنهم السلالة الملعونة.

١- وول ديوانت، الغجر، ص١٣.

٢- رايكو جوريتش، باحث يوغسلافي مهتم بشؤون الغجر وهو من اصل غجري.

جدول سابق يبين اعداد ونسبة تواجد الغجر في الدول الاوربية:

الولايات المتحدة الامريكية	1,000,000	نسبة 0,32%
البرازيل	800,000	نسبة 0,41%
اسبانيا	650,000	نسبة 1,62%
رومانيا	621,000	نسبة 3,3%
تركيا	500,000	نسبة 0,72%
فرنسا	500,000	نسبة 0,79%
بلغاريا	370,908	نسبة 4,67%
المجر	205,720	نسبة 2,02%
اليونان	200,000	نسبة 1,82%
سلوفاكيا	189,920	نسبة 1,17%
روسيا	182,766	نسبة 0,13%
صربيا	147,604	نسبة 2,05%
ايطاليا	130,000	نسبة 0,22%

المانيا	120,000	نسبة 0,15%
المملكة المتحدة	90,000	نسبة 0,15%
مقدونيا الشمالية	53,879	نسبة 2,85%
المكسيك	53,000	نسبة 0,05%
السويد	100,000-50,000	
أوكرانيا	47,587	نسبة 0,098%
البرتغال	50,000- 30,000	نسبة 0,3%

مؤخراً جاء الاهتمام الدولي بالغجر وتخصيص يوم عالمي لهم ضمن حملات التعريف المعاصرة بثقافة الغجر تحت اختصاصات التشريع الاوربي من اجل الحفاظ على التنوع الثقافي واللغوي في اوروبا وحماية لغات الاقليات الاثنية حسب المعاهدات المبرمة بين اعضاء الاتحاد الاوربي(١).

١- لطفي شلش، قبائل الغجر، ص ١٦٦.

اصولهم

منذ ان استوطنت الخليقة في الأرض وازدادت اعدادهم ثم تفرقت وتعددت الشعوب على اختلاف ألوانها واشاكلها ولغاتها فقد ظهرت شعوب وانقرضت اخرى وبقيت اغلبها محافظة لعاداتها وتقاليدها وآخرين تغيرت سلوكياتهم،فإن الغجر تعد من الشعوب التي ضاعت اصولها في زحمة الترحال والبحث في المجهول، فهم اناس تركوا ماضيهم وانطلقوا على صهوة دوابهم بما يملكون من وسائل بسيطة هرباً من ظلم الآخرين مرة والبحث عن متطلبات المعيشة مرة اخرى[١]موزعين في شتى بقاع الأرض حاملين معهم عادات وتقاليد جالبة لسخط الغيرعليهم، اتفق علماء الغجريات على الاصل الهندي للغجر وهذا ما يؤكده بشرتهم ولون عيونهم وقوامهم التي تشبه سكان الهند وافغانستان واستنتج العلماء ايضاً ان الغجر قدموا من الهند هرباً من الغزوات البربرية التي اجتاحتها فلم يتحملوا موجات الغزو تلك فغادرت قبائلهم البلاد متجهون نحو المجهول.

١- علي مهدي القريشي، الغجر وتاريخ مدينة، ص١١.

جمعت معظم المصادر القديمة والحديثة على ان الغجر هم فرع منفصل من(الهندوآريه) ومن شعب عتيق له حضور حتى اليوم في البنجاب من شمال غرب الهند[١] خاصة مع وجود انتشار ضعيف وملحوظ في كل الأراضي الهندية يعرف باسم(بانجاراس) وتعرف لغته باسم(بانجاري) وهو شعب مترحل يعيش حياة الترحل مربياً قطعان البقر وتنتشر مجموعات الغجر اليوم في جميع القارات والبلدان تقريبا ومازالت معظمها تعيش في طور البداوة [٢].

اكد المؤرخين على حقيقة ان الهند هي الأصل الجغرافي لشعب الغجر وهو الموقع الذي اخذوا ينتشرون منه الى جميع انحاء العالم وكانوا يمتهنون التقاط الطعام والصيد اضافة الى خبرتهم في الحدادة والحيوانات والمعرفة التقليدية بطب الاعشاب وعلى مدى قرون من الزمن مارست الحكومات والشعوب بحقهم التميز العنصري ودارت حولهم الشكوك واتهموا بالشعوذة والسحر والقتل وسرقة الاطفال وجلب الدمار والوباء للبلد الذي يحلون فيه.

١- محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ترجمة جميل احمد، ص٧٣.

٢- جمال حيدر، مصدر سابق، ص٨٩.

وحينما يأخذ الباحث على عاتقه مهمة تتبع آثار الغجر منذ زمن بعيد لابد وان يقع في بعض الالتباسات التي من شأنها ان تثير الشك، إذ إن هناك شعوباً وقبائل لم يعرف نشؤها بصورة دقيقة وهذا ما ينطبق على الغجر واصولهم وبعد تقاطع الآراء فهناك من ظن إنهم قد وفدوا من خلال بلاد ما بين النهرين وآخرون افترضوا انهم من مصر أو شمال افريقيا أو اثيوبيا، إلا إن علم التاريخ وسلالة الشعوب استطاع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ان يجزم بشكل قاطع على الموطن الاصلي للغجر هو بلاد الهند وعلى الرغم من صعوبة تقرير الحدود الفاصلة للتصنيف العرقي للغجر إلا انهم مع ذلك يعتبرون ذوو اصل مشترك متجانس التكوين في تقاليدهم وعاداتهم واعمالهم المشتركة في حين ذهب المستشرق (توماس اكتون) الى ان الغجر اناس متفرقون وليسوا من مجموعة واحدة.

•- لم يتردد بعض الباحثين من ذوات الخيال الاسطوري في رواية على اعتبار ان الغجر هم من سلالة قابيل بن آدم.

•- ورواية اخرى تقول ان الغجر هم نتاج زواج الجان وهم رفضوا ايواء السيدة مريم العذراء خلال هروبها بمعية يوسف النجار والطفل الى مصر[١].

•- وهناك اسطورة يرويها الغجر عن اصولهم خلاصتها ان الانسان خلق من اصول ثلاثة وان اجداد البشرية ثلاثة رجال احدهم اسود وهو جد الافارقة والآخر ابيض وهوجد الاوربيين وامثالهم من البيض والأخير هو جد الغجر، وان هذا الجد يسمى (كين) وقد قتل شقيقه ولذلك عوقب من الله بأن يجعله هائما في الأرض هو وذريته من بعده.

•- وايضاً هناك رواية اخرى تقول ان سبب الشتات في الأرض والتنقل هو ان الجد الغجري قد أسرف في الخمر وثمل ولم يستطع الدفاع عن المسيح[٢].

•- ورواية اخرى تقول ان الجد الغجري قد صنع المسمار في الصليب الذي اراد اعداء المسيح صلبه عليه،كل هذه الاشياء تعطي

١- علي مهدي القريشي، مصدر سابق، ص٤٨.

٢- انيس منصور: مصدر سابق، ص٩٨.

انطباع بأن الغجر دائما ما يقفون في صف مناقض للمسيحيين وقد تبدو هذه المواقف أحد مبررات الكراهية ضد الغجر من قبل الاوربيين.

•- وهناك ورواية اخرى تقول ان في معتقدات الغجر وجود سارتين الاولى سارة الكاثوليكية والاخرى سارة الغجر.

•- ومن الاساطير ايضاً ان الشمس والقمر والنار والضباب والريح باعتبارها أبناء الأرض والسماء وتنازعوا عندما كبروا وفصلوا الأرض عن السماء واستمر الأبناء في صراعهم الأبدي حتى يومنا هذا[١].

١- علي مهدي القريشي، مصدر سابق، ص٤٧.

هجراتهم

من المؤكد انه ما من أحد يعرف على وجه اليقين متى غادرت جموع الغجر من الهند أول مرة ولأي سبب كانت هذه الهجرة التي نقلتهم هي ومثيلاتها التي اعقبت في ما تلا من القرون الى معظم بلاد الدنيا وانما تأكد حضور الغجر في بلاد فارس منذ القرن العاشر الميلادي، ثم تابع معظمهم الرحيل منها ضمن فرعين سلك احدهما درب جنوبي الغرب باتجاه مصر وشمالي افريقيا، وسلك الآخر عبر العراق وسوريا والاناضول درب شمالي الغرب لتحط جماعات سالكي هذا الدرب الرحال بالقرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي في بلدان اوروبا الشرقية واوروبا الوسطى وعلى الخصوص منها المجر والبلقان ووصلت جماعات اخرى الى غرب المانيا وفرنسا عام ١٤١٧م ثم يقوم بعضها بالعبور الى شمال اوروبا وبريطانيا والى الامريكيتين واستراليا خصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعد شعب الغجر من الاقليات في جميع قارات العالم واشدها تعرضاً للاضطهاد والعزلة الاجتماعية في حين

يسلط يوم الغجر العالمي الضوء على ثقافة الغجر وتاريخهم ولغتهم وتطلعاتهم التي لا يعرف الكثير من الناس عنها شيئاً.

ذكر ان انتشار الغجر في العالم كان سببه هو مصاهرة سياسية جمعت بين ملك بلاد فارس(بهرام كور) وملك الهند(شانكور) قبل مئات السنين وتحديداً في القرن الثامن الميلادي[١] ففي ذلك الوقت رغب ملك بلاد فارس ان يضيف الى مجلسه بعض اجواء المرح والرقص والغناء وما كان من ملك الهند إلا ان ارسل له اثنى عشر الف غجري تلبية لرغبته وبالفعل هاجر إليه هؤلاء واستقبلهم الملك وقدم لهم المواشي والقمح ليعيشوا منه ويستقروا في البلاد وبعد فترة وجيزة عادت هذه الجماعة الى الملك واخبروه بأنهم لا يملكون طعام ولا صنعة فغضب منهم الملك وطردهم من بلاد فارس لينتشروا بعد ذلك في شتى انحاء العالم[٢] وخلال هجرتهم انشطروا الى ثلاثة اقسام جزء ذهب الى اوروبا، والجزء الآخر توجه الى منطقة الشرق الاوسط والجزء الأخير ذهب الى شمالي افريقيا، ويقدر اعداد شعب

١- الدكتور مصطفى جواد ، الغجر في المراجع العربية، ص٦٣.

٢- الاب انستاس، مصدر سابق، ص ٦٣.

الغجر في تعداد سابق بأكثر من(١٢) مليون شخص يتوزعون في انحاء مختلفة من العالم في حين يعيش اكثر من نصفهم في دول اوروبا ويتركزون بشكل كبير في بلغاريا بنسبة(٩,٩%) من تعداد سكانها وتليها سلوفاكيا بنسبة غجر تقارب(٩%) من تعداد سكانها ومن ثم رومانيا بنسبة(٨,٦%) اما المانيا فتبلغ نسبة شعب غجر(الروم) فيها (٠,١%) وايطاليا(٠,٢%)[١].

لقد انتشر الغجر في معظم أرجاء المعمورة، ففي الدول الاوربية دخلت مجاميع الغجر بحدود عام(٨٥٠) ميلادية وما بعده الى كل من(فرنسا- الدنمارك- روما- ويلز- برشلونه- سكوتلنده- روسيا- بولنده- السويد) وغيرها واستمرت هجرتهم الى الدول المذكورة حتى عام(١٥١٥) ميلادية ويعتبر هو الوجود الرسمي للغجر[٢].

يقول الأب فلوري رئيس الغجر في فرنسا والتي تمثل(الكوند سندهو) ويطلق عليهم في الغرب اسم(سنتي) وهو الاسم الذي يلقب به قسم من الغجر، والكوند معروفين في شرقي الهند وفي النيبال وبورما

١- لطفي شلش، مصدر سابق، ص١١٣.

٢- خليل صويلح، مصدر سابق، ص٦١.

وقد قام فخذ من هذه العشيرة الغجرية وهم (السندهو أو السنتي) كما تقول الرواية بالاتجاه غرباً بعد ان عبروا تخوم الهند وعملوا في تدريب الخيول والمتاجرة بالأحجار الكريمة وامتلكوا البهائم لنقل احمالهم، وبعد مدة من الزمن حلت قوافلهم في أرض الكلدانيين فرحب بهم سكان البلاد إذ كانوا مهرة في صناعة النحاس والذهب ولقنوا الكلدانيين فنون(اليوكا)[١] وهو نظام ديني فلسفي هندي قديم، كما اوضح بعض الباحثين ان الغجر انتشروا في اواسط القرن الخامس عشر الميلادي ووصلوا الى مناطق المجر وصربيا وباقي بلاد البلقان الاخرى، ثم انتشروا في بولندا وروسيا واستمر الى ان بلغوا السويد وانجلترا في القرن السادس عشر، كما استوطنوا في اسبانيا بأعداد كبيرة وفي صربيا والجبل الأسود تشير المصادر الى وصولهم اليها عام ١٣٤٨م وقد لاقوا التشريد والقتل في معظم الاحيان ومنها انطلقوا الى هنجاريا عام ١٣٨٣م[٢]حيث قدموا الطاعة والولاء للملك وظلوا بعيدين عن كل المشاكل الى ان جاءت

١- ثامر العامري، مصدر سابق، ص ٢٦١.

٢- الأب انستاس، مصدر سابق، ص٢١٥.

حكومات متعاقبة مارست ضدهم جميع انواع الاضطهاد الذي وصل الى الابادة في بعض الاحيان ومع مجيء الثورة الاشتراكية تحسنت اوضاع الغجر بعض الشيء، وكان هو الحال في بلغاريا ورومانيا وبولندا ويوغسلافيا وغيرها من دول اوروبا الشرقية، اما اكبر مأساة تعرض لها الغجر في التاريخ فتلك التي حدثت أبان الحكم النازي في المانيا من عام ١٩٣٧ الى ١٩٤٥م[١] حيث اعتقل الآلاف منهم ليحرقوا بغرف الغاز في معسكرات الاعتقال بـ (موتس وفلوسنبرج ونادس ويلز) وغيرها من المعسكرات وتشير الاحصائيات النازية الرسمية إنه خلال هذه الفترة تم اعتقال ثلاثة آلاف غجري كل مرة ووضعهم في معسكرات الاعتقال ولم ينج منهم إلا القليل لذلك يعتبر الغجرمن اكثر شعوب الأرض تشرداً وتعرضاً الى الويلات فأينما حلو تسبقهم صورة مضخمة او مبالغ فيها وهم ضيوف ثقلاء لدى الكثير من شعوب المعمورة.

١- الأب انستاس، مصدر سابق، ص٢١٥.

دياناتهم ولغاتهم

غالباً ما يسود الظن بأن الغجر لا يدينون بدين محدد إلا انهم كغيرهم من طوائف عديدة كانوا يدينون بما يسمى الدين الطبيعي أي بكائن علوي ووجود الروح العظمى والعفاريت والارواح في العالم وكانوا كغيرهم ينكرون الوحي ويعتقدون بمبدأ خلق العالم وابداع كل شيء من الطين والتراب ويكنون للشمس(ايزاكريس)[1]والقمر والنجوم مشاعر خاصة ولهم جملة محرمات وطقوس بالطهارة والنجاسة وينبغي ان تتبع مع النساء في ظروف معينة مثل الولادة ومع الكلاب والقطط، وقد لاذت مجموعات غجرية الى جانب هذه المعتقدات القديمة بديانات البلاد التي حلوا فيها فصارمنهم البوذيون والمسيحيون والمسلمون وان فهم الغجر على الارجح لهذه الديانات هو فهم خاص لا يتطابق تماما وفهم إتباع الآخرين لها، ولا يلغي جذور مذهب (الأرواحية البدائي)[2] فهم يرون ان السعادة مشاركة وان الحرية تكمن في امتلاك اقل ما يمكن من الاشياء.

١- محمد امين زكي، مصدر سابق، ص٧٦.

٢- الدكتور نبيل صبحي حنا، جماعات الغجر، ص ٦٥.

اما لغتهم فمن اللافت للنظر عدم وجود لغة خاصة للغجر رغم الشبه الكبير فيما بينهم ورغم المناطق الجغرافية المتباعدة التي يسكنوها فلغة الغجر ودينهم تؤخذ من لغة الأرض التي يسكنونها بل ويتكلمون لهجتها.

الغجر لهم لغات كثيرة بحسب المنطقة بدءً من وسط اسيا والبلقان مروراً بأوروبا ونزوح الكثير منهم للامريكيتين غير الذين تم تهجيرهم مع المسلمين الى افريقيا للعمل مع الايبيرين في الاستكشافات، مثلاً غجرالعراق يتكلمون العربية وغجر اسبانيا يتكلمون الاسبانية وغجر مصر يتكلمون العربية باللهجة المصرية وحتى في العراق فإن الكاولية في الجنوب تتحدث لهجة الجنوب العراقي وغجر الموصل (القرج) يتكلمون اللهجة الموصلية وعندما يلتقي غجري من العراق بغجري من رومانيا فلا توجد لغة مشتركة بينهم وبذلك لم يعد الغجر أمة واحدة ولا قومية واحدة لأنهم لا يتكلمون لغة واحدة تميزهم رغم انهم من اصل واحد وثقافتهم واحدة واشكالهم متقاربة وحتى الدين فإن ديانة الغجر تؤخذ من ديانة المنطقة التي يسكنوها فغجر

المناطق البروتستانتية(بروتستانت) والمناطق الكاثوليكية (كاثوليك) وغجر انكنترا (انكليك) وغجر البلاد الاسلامية (مسلمون) وحتى في العراق ان غجر الجنوب هم شيعة وغجر الشمال من السنة وبذلك فإن الغجر يأخذون لغة ودين الأرض التي يسكنوها[١].

انقسم الغجر في دياناتهم حيث اصبح جزء منهم مسلمين كما في دول الشرق الاوسط والبوسنة والهرسك بينما جزء آخر اتبعوا مذهب الارثوذكس في صربيا والجبل الأسود كما اصبح معظم الغجر في اوروبا الغربية رومان كاثوليك لكنهم حافظوا على كثيرمن معتقداتهم السابقة قبل اعتناقهم المسيحية[٢].

اللغة الرومية: هي واحدة من اللغات العديدة التي يتحدثها شعب الروم الغجر والمنتمية الى فرع اللغات الهندوآرية من عائلة اللغات الهندوأوربية ووفقا لإثنولج فثمة سبعة اشكال من الرومنية اصبحت متباعدة لغويا كفاية حتى يمكن اعتبارها لغات بحد ذاتها واكبر هذه اللغات، اللغة الفلاكسية التي يتحدثها بحدود(٥٠٠,٠٠٠) نسمة

١- طه حمادي الحديثي، الغجر والقرج في العراق، ص١٢.

٢- محمد عمران، موسيقى الغجر المصريين، ص٧١.

والرومنية البلقانية يتحدثها بحدود(٦٠٠,٠٠٠) نسمة واللغة السينتية يتحدثها بحدود(٣٠٠,٠٠٠) نسمة وتتحدث بعض من تجمعات شعب الروم الغجر لغات مختلطة مستمدة من اللغات المحلية للبلد الذين يعيشون فيه لكنهم ظلوا يستعملون الكثيرمن المفردات المشتقة من الرومنية ويطلق علماء اللغويات على اسم المتنوعات شبه الرومنية ولا يسمونها باللهجات[١] ويوجد تقارب لغوي باللغة الرومنية ولغات منطقة شمال الهند.

وفي تعداد سابق للغجر ببعض من دول العالم والتي وصفت بالجماعات الغجرية الرئيسة:

الكادليراش

في البلقان واوروبا الوسطى وهم الاكثر عددا وتعتبر المجر ورومانيا مركز الغجر بالبلقان.

الجيتانو

ويعرفون بالفرنسية باسم (الكاليه) وينتشرون في جنوب فرنسا وشبه الجزيرة الايبرية وشمالي افريقيا[٢].

١- طه الحديثي، مصدر سابق، ص١١.

٢- جمال حيدر، مصدر سابق، ٥٦.

المانوش

ويعرفون بالفرنسية(سانتي) ويعيشون في فرنسا والالزاس والمانيا وايطاليا وتنقسم هذه المجموعات الثلاث الى مجموعات وفروع اصغر وتراوح التقديرات بشأن تعدادهم في العالم الى:

الرومن

تعدادهم الكلي بحدود ٧,٥٩٠,٠٠٠ نصفهم في اوروبا الشرقية منهم ٩٠,٤% مسيحيون و ٤,٤% مسلمون و ٥,١% بلا دين وينقسمون الى عدة مجموعات اهمها:

•- الفلاكس: تعدادهم بحدود ٢,٠١٥,٠٠٠ وهم منتشرون في انحاء العالم بشكل واسع يتركزون في رومانيا والبرازيل والبوسنة والهرسك والولايات المتحدة الامريكية، لغتهم الاساسية هي الرومنية بلهجتهم الفلاكسية وديانتهم الاساسية المسيحية.

•- البلقان الروم: تعدادهم بحدود ١,٣٦٨,٠٠٠ وهم منتشرون في اوروبا بشكل واسع ويتركزون في اوكرانيا وصربيا وبلغاريا، لغتهم الاساسية هي الرومنية باللهجة البلقانية عموما، ما عدا في صربيا

فلهم لهجة خاصة وفي اوكرانيا لهم ديانة خاصة وفي بقية الدول اكثرية مسيحية ماعدا في تركيا ومقدونيا وايران والبوسنة والهرسك ورومانيا وافغانستان والجزائر اكثرية مسلمة، اما في بلغاريا يسمون بغجر الزرغر ٦٥% منهم مسيحيون بأغلبية ارثوذكسية و٢٥% مسلمون و١٠% بلا دين[١].

- غجر الكالو: تعدادهم بحدود ٩٩٥,٠٠٠ يتركزون في اسبانيا بوسطها وجنوبها وجزر الكناري والبرازيل، يتحدثون بشكل اساسي لغة محل اقامتهم وبشكل ثانوي لغة الكالو، اما في اسبانيا معظمهم بروتستانت وفي البرازيل معظمهم رومان كاثوليك.
- رومن الكاربات: تعدادهم بحدود ٤٥٣,٠٠٠ ويتركزون في التشيك وسلوفاكيا، لغتهم الاساسية هي الرومنية بلهجتهم الكارباتية وديانتهم الاساسية هي المسيحية[٢].
- يوجد في البرازيل مجموعة غجرية لا تنتمي الى الفلاكس او الكالو، تعدادهم ٤٠٢,٠٠٠ يتحدثون البرتغالية ، وروم كاثوليك.

١- آرثر كريستن: ايران في عهد الساسانيين، ص٩٨.

٢- هوارد غرينفليد: دراسة عن الغجر، ص١٠٣.

•- يوجد في بلغاريا مجموعة غجرية لا تنتمي الى الزرغر تعدادهم بحدود ٢٤٦,٠٠٠ وعلى عكس الزرغر لا يتحدثون اللغة الرومنية البلقانية بل اللغة البلغارية ٥١% منهم مسيحيون بأغلبية ارثوذكسية و٤٥% مسلمون و٢% ديانة خاصة و٢% بلا دين.

الدومر

تعدادهم الكلي بحدود ٢,٥٦٣,٠٠٠ ثلثيهم في الشرق الاوسط خصوصا في مصر والثلث الآخر في اسيا الوسطى خصوصا في ايران، الأغلبية الساحقة من مسلمين السنة وهناك بحدود ٨٠٠ مسيحي من نور الاردن والأراضي الفلسطينية، وينقسمون الى عدة مجموعات اهمها:

•- الحلب: وهم اكبر المجموعات الدومرية ٢٧٩,٠٠٠ في مصر، و٣٩,٠٠٠ في ليبيا.

•- النور: ٢٧٣,٠٠٠ في مصر و٩,٠٠٠ في فلسطين و٨,٠٠٠ في اسرائيل و٦,٤٠٠ في الاردن ويتواجدون ايضا في بادية سوريا وايران.

- – الغربتي: في غرب ايران ويتواجدون ايضا في سوريا والاردن.
- – اللولي: في غرب ايران واوزبكستان وقيرغيزستان.
- – الزط: ٥٧,٠٠٠ في الامارات العربية المتحدة و ٤١,٠٠٠ في سوريا و ٣٣,٠٠٠ في العراق[١].
- – المهتار: في ايران بمحافظة فارس وكهكيلوية وبوير أحمد.
- – الكراتشي: في شمال ايران والقوقاز وشمال تركيا.
- – اليرك: ٣١,٠٠٠ في تركيا ويتواجدون ايضا في ايران.
- – تشوري والي:٩,٨٠٠ في افغانستان و ٢,٤٠٠ في طاجيكستان.
- – البراكي: في سوريا والاردن[٢].
- – المزنوق: في اوزبكستان وايران.

تفرقت لغة الغجر بتفرقهم وتأثرهم بألسنة القوميات المتعددة التي عاشوا وسطها لكن هناك محاولات في العهد الحديث لتدوينها على الرغم من ان المنشورات الغجرية المكتوبة قد اظهرت ايام الاتحاد السوفيتي في عهوده الأولى ويكاد يجمع علماء اللغات على ان لغة

١- الدكتور حميد الهاشمي، مصدر سابق، ص٩٤.

٢- الباحث م. ن ، الغجر، مجلة العربي العدد ١١٥، ١٩٦٨.

الغجر هندية آريه ترجع بجذورها الى السنسكريتية والى لغات منطوقة في الهند الى اليوم وتسمى هذه اللغة (روماني) وتدخل فيها مفردات كثيرة مشتقة من لغات الشعوب التي عاشوا بينها، ويظن ان لغة غجر بلغاريا هي انقى لغة دارجة في حين ان لغة غجر سورية هي الاكثر بدائية[١] وهناك عند الغجر لغات عامية ذات رطانة ناشئة عن الاختلاط وجميعها لغات شفوية لا كتابة لها وهي لغة سرية رمزية تسمى في الغرب(باتران)[٢] لا تعرف إلا بينهم، لذلك حينما يذكر اسم الغجر حسب تسمياتهم المحلية المختلفة في شتى بلدان العالم فإنه يثير فضول اغلب السامعين لما امتازت حياتهم من غرابة وطرافة وعناصر جذب، فهم اناس يرون انفسهم سادة الأرض وهم الشعب الحر ورمز الحب والرومانسية فضلاً عن يرون انفسهم سراً مغلقاً لا ينفذ إليه أحد.

١- خليل اقطيني: غجر سورية، ٦١.

٢- جورج ليان، الغجر اصلهم تقاليدهم، ص ٢٣.

اسماءهم

كلمة الغجر تكاد ان تكون لغزا لدى البعض من الباحثين في علم الغجريات فمنهم يرى انها كلمة هندية لوجود لغة قديمة في الهند تدعى الغجراطية[١].

وآخرون يروا انها كلمة تركية مأخوذة من كلمة كوجر ومعناها الرحل.

ينقسم الغجر بشكل عام الى(روم ودومر) لذلك يطلق البعض على انفسهم اسم روم بمعنى الرجل او الزوج، في حين ان اسماءهم تختلف من بلد لآخر ففي بلاد العرب عرفوا باسم الزط والنور والقرباط والغجر وفي الهند غلب عليهم اسم اللوري وفي انكنترا والكومنولت والولايات المتحدة الامريكية عرفوا باسم الجبسي لرواية واهمة تنسبهم خطا الى مصر، والفرنسيون يسمونهم التزيجان وربما كانت هذه التسمية الاكثر شيوعا في العالم والبوهيميين تارة اخرى[٢] توهما بأن اصولهم ترجع الى بوهيمية ويسميهم الاسبان زنجالي

١- ثامر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية،ج٩، ص٢٥٨.

٢- رمسيس عوض، الغجر بين المجزرة والمحرقة، ص٢٣١.

ويسميهم الايطاليون زيجاري ويعرفون في شمالي اوروبا باسم المتوحش، وفي ايران يسمى الغجر(كولي)[1] والتي تعني حرفياً المتعاملون مع المعادن باعتبارها حرفة الغجري الاصلية هي الحدادة ، لكنها تطلق عليهم للتنقيص والإساءة، كما يطلق عليهم تسمية لوري نسبة الى القبيلة التي انحدروا منها.

اما الدومر هم اثنية غجرية تنتسب لمجموعة الشعوب الهندوآرية تعيش بشكل اساسي في منطقة الشرق الاوسط ومناطق من وسط وجنوب آسيا وشمال افريقيا وكان يعتقد على نطاق واسع ان الدومريين فرع من شعب الروما لكن الدراسات الحديثة اكدت ان الدومريين غادروا شلالات(بينبه) من القارة الهندية في وقت سابق بحدود القرن السادس الميلادي ويعتقدبعض الباحثين بوجود صلات بين الدومريون واثنية الدومبا الهندية.

والنور في بلاد الشام والاردن وفلسطين وسورية تختلف اسباب التسمية فبعضهم يعتقد انها جاءت من كلمة النار او النور[2] لأن

١- مصطفى عمارة، مصدر سابق، ص ١٩٨.

٢- نبيل صبحي حنا، جماعات الغجر، ص٢١.

الغجري معروف بملابسه الملونة المفرحة، اما البعض الآخر فيرى انها نسبة لأهم قبيلة لدى الغجر تسمى لوري.

ومنهم من يسمونهم القرج وخاصةً في المناطق الكردية من شمال العراق.

والكاولية في المناطق الجنوبية للعراق، والرأي الاقرب الى الصواب الذي توصل له الدكتور فوزي رشيد من خلال بحثه عن الكاولية جنوب العراق يقول ان كلمة الكاولية محرفة من كلمة(كولي) السومرية التي تعني(صديق) وهي تطلق على فئة المهاجرين من سامراء الى الجنوب.

وفي الجزيرة والخليج تشير الدراسات الى وفودهم قبل ألف عام ويلقبون الزط.

ويطلق عليهم الغجر والغازية في مصر والمغرب العربي ففي مصر يعود تاريخ الغجر كما يروي المؤرخ (سفاتيك) الى قرون عديدة بعد قدومهم من القسطنطينية وينقسم الغجر هناك الى اقسام عدة الغجر ،النور، الحلب، وتنظر كل فئة منهم الى الأخرى باحتقار لكن

بمرور الزمن اصبحوا مواطنون مصريون يلتحقون بالجيش ويؤدون الخدمة العسكرية ويعملون ايضاً في وضائف حكومية وقسم آخر من رجال غجر مصر تترك لنسائهم حرية العمل كراقصات لأن رجال هذه الفئة اعتادوا الزواج اكثر من سيدة وهن يعملن ويكسبن المال والرجال ينفقون، لكن هذه القاعدة لا تسري على الجميع[١] اما القسم الاكبر من الغجر في الشام يطلق عليهم النور وهم مجموعة سكانية تنتشر في فلسطين وسوريا والاردن وتنتمي الى مجموعة الشعوب الغجرية التي تعود بجذورها الى شبه الجزيرة الهندية ودلتا السند ويشكل النور الغجر اقلية عرقية فيها[٢] وينتشرون في عدة بلدان وقلة منهم مازالوا يعيشون حياة بدائية في الخيم بالصحراء وقرب المدن وقسم كبير منهم يتحدثون اللغة العربية واعتنقوا الديانة الإسلامية وتختلف وتتنوع ملامحهم الشكلية فمنهم داكني البشرة ومنهم بيض البشرة وعيونهم ملونة كما في حائل بالسعودية ومنهم ملامحهم الشكلية تشابه الهنود.

١- الدكتور محمد عمران، موسيقى الغجر المصريين ، ص٩٦.

٢- خليل اقطيني، غجر سورية، ص٢٦.

اما في سوريا يشكل الغجر مجموعة سكانية متجانسة تنتمي الى مجموعة الشعوب الهندية ويتوزعون غجر سوريا تقريباً في جميع المحافظات السورية ويتركزون بشكل اساسي في مدنها الكبرى على الرغم من عدم الاعتراف بهم رسميا إلا مؤخراً لكنهم اليوم شانهم شأن الاقليات العرقية الاخرى، يتمتع غجر سوريا بالمواطنة الكاملة ولهم ما للفرد السوري وعليهم ما عليه، ومنهم ايضا يسكن في الحدود اللبنانية السورية ويسمون(القرباط والنور) فيما يطلق عليهم في الساحل السوري(المطاربة) يتكلمون اضافة للعربية لغة العصفورة الخاصة بهم وهي لغة حتى انفسهم لا يعرفون ماهية هذه اللغة ولا اصلها فمنهم من ادعى انها لغة كردية ومنهم يقول انها لغة خاصة بهم تسمى لغة العصفورة ذلك لأنهم يتكلمونها بطلاقة واضحة وسرعة كبيرة وعلى أية حال فهي لغة تحكى ولا تكتب إذ لا حروف هجائية مكتوبة لها، فإن اللغة الخاصة بالغجر في سوريا وحتى في كل انحاء الوطن العربي وبعض دول العالم الاخرى ماهي إلا خليط من الهندية والفارسية بشكل اساسي ثم دخلتها مع مرور الزمن

بعض المفردات من اللغة الكردية وقليل من العربية والتركية أبان الاحتلال العثماني للوطن العربي والى جانب لغتهم تلك يتكلم الغجر العربية بطلاقة ويتكيفون مع لهجة اهل المنطقة التي يسكنوها، فإن من عاشوا في حلب تراهم يتحدثون اللهجة الحلبية ومن عاشوا في دمشق يتكلمون اللهجة الشامية ومن سكنوا الجزيرة والفرات أي المناطق الشرقية والشمالية في الحسكة ودير الزور والرقة تجدهم يتحدثون اللهجة الريفية البدوية القريبة من اللهجة الكويتية الخليجية وفي لبنان يتوزع الغجر حول حزام المدن ولهم تسميات شبيهة بتسميات غجر سوريا وتعود اصول شريحة واسعة منهم الى غجر فلسطين الذين نزحوا خلال عام ١٩٤٨م[١].

١- عبد المنصف أبو نجم، الغجر في مصر، ص٣٨.

عاداتهم

يقول المثل الشائع ليس كل ما يلمع ذهباً، وليس كل كلام مسبوك هو بالضرورة فكر، فهذه الفئة التي لا يعرف أحداً عنها شيئاً متى جاءوا والى اين تصل نهايتهم، وكأنهم قادمين من كوكب آخر قد وقعوا فريسة احضان الحديث المستحدث ليتحول بعظهم من بعد ذلك الى عبيد لغرائزهم التي اطلقت قصداً، فهناك قصص وحكايات كثيرة سردت عن ماضي الغجر اغلبها مشوهة سلبية ميتة لا روح فيها وهي غير منتجة وغير فعالة وقد دست فيها الاكاذيب[١] هكذا خُدع العالم وهم ايضاً خدعوا انفسهم بعادات دخيلة حبكت ضدهم على مدى قرون من الدعاية المسلطة من اجل اهلاكهم، الأمر الذي أدى بهم الى الاضطهاد والعوز والاحتياج والعجز الدائم والحرمان وصاروا على أثره يأكلون الحنظل ويشربون الماء العكر، وهم ايضاً سدوا وكتموا عن الناس افكارهم[٢] ولهذا طوال قرون من الزمن مارس المجتمع ضدهم نشوزه.

١- أحمد حسين حسن، الكدية في العصر العباسي، ص١٠٤.

٢- آرثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب ، ص١١٦.

اعتاد البشر في مختلف انحاء العالم على ان يتخذوا بعض العادات للهو والتسلية وليستأنسوا بها عما يعانون من كبت في حياتهم، فالحياة الاجتماعية بوجه عام ترزح تحت وطأة القيود والاعتبارات والتقاليد التي تضيق الخناق على الانسان وتمنعه من الانطلاق وراء شهواته وميوله، لهذا إنشات في كل مجتمع بشري انواع مختلفة من العادات، منها حسنة وهذا جيد، واخرى سيئة وهؤلاء بحاجة الى اصلاحهم.

إن تراث الغجر بشكل عام هو تراث شفهي ينتقل حسب ما يقال من الأم الى ابنتها ولا يمكن معرفة شيء عنه سوى ما يقبل الغجر بكشفه، كان الغجر يمتهنون الحدادة بانواعها والصيد اضافة الى خبراتهم في الحيوانات والمعرفة التقليدية بطب الاعشاب كما يشتهر الغجر بشكل عام بأعمال السرقة والاحتيال والتي غالبا ما تتسبب باضطهادهم من قبل الشعوب.

اما المهنة المشتركة الاساسية لكل الغجر في العالم فهو الرقص والغناء وبعض الصفاة الاخرى مثل تربية صغار اليتامى من البنات

والبعض يتهمهم بسرقة الاطفال وهذه صفة في الحقيقة هي نادرة وللغجر مهن اخرى منها تجارة الخيل وتربيتها، مثلاً مهنة غجر يوغسلافيا صناعة البارود وغجر العراق مهنة تربية الخيول، اما المهن التي يمتهنونها في العادة فهي تخضع لطبيعة حياتهم المتنقلة فهم غالباً لا يسمح لهم بامتلاك الأراضي في الدول التي تؤويهم وفي اكثر الاحوال تكون مهنتم تجارة بيع الاحصنة والحيوانات الاخرى وانواع التجارة الصغيرة المتنقلة والصناعات اليدوية كأعمال الفضة والحديد وصياغة الذهب، كما انهم ومن جانب آخر عادة ما تلازم حياتهم السرقة وانعدام الامانة بسبب اسلوب حياتهم المتنقل وسلوكياتهم غير المألوفة.

عرف الغجر في اوروبا بإتقان الرقص والموسيقى ويشتهرون بتقديم الموسيقى في المنتزهات وفي العاب السيرك، كما يمتلك الغجر إرث فني متأثر بموسيقى الشعوب التي جاوروها وفي ذات الوقت يحمل صبغتهم الخاصة، يتناقل الغجر إرثهم الموسيقي شفهيا ويغلب عليه الطابع الارتجالي وهي في الغالب أغان قصيرة ذات طابع حزين.

في الماضي كان الغجر يستخدمون العربات التي تجرها الخيول وبعد وطأة الضغوط الاقتصادية واكتشاف المحركات التي تعمل بواسطة البترول اغلبهم تركوا مركباتهم تلك وآخرين بقوا يعيشون على العربات من النمط القديم حتى عهد قريب وغالبا ما يعيش الغجر في الخيام او على ظهور عرباتهم ومن عاداتهم تزيينها برسومات مختلفة ولتلك المناسبة اسطورة تحكى، ان أحد الغجر قد هام حباً بفتاة وعند زواجه بها طلبت منه ان يزين لها بيت الزوجية أي العربة وقد استجاب الفتى لذلك ووضع كل ما امكنه من تصميمات فنية في تلك العربة وتمضي القصة لتحكي ان الغجرية اصيبت بداء عضال تسبب في وفاتها، الأمر الذي احزن الفتى الغجري كثيرا ثم قام برسم وجهين في عربته الوجه الأول لرجل داكن البشرة يمثله هو، والآخر لفتاة ذات شعر أحمر تمثل عروسه وسار الى الناس على العادة وصاروا يزينون عرباتهم بنفس الطريقة ويخصص الغجري ربع مساحة العربة لزوجته مع احداث فتحة في الاعلى للتمكن من اشعال النار بداخلها.

ومن اهم ما يمتاز به الغجر هو مهاراتهم غير العادية في ميادين الموسيقى والآلات الوترية والتطعيم الناجح بين الموسيقى(التزيجانية) التقليدية الموروثة[1]وبين موسيقى شعوب روسيا واوروبا الوسطى التي نزل الغجر بينهم ولاسيما منها الموسيقى الغنائية الشعبية والعاطفية التي ألهمت بعض كبار الموسيقيين الغرب مثل(ليست) و(براهمز) ناهيك عن المهارة في استعمال آلات الغيتار والكمان والصناجات والاكورديون وغيرها فضلاً عن روعة الإداء الحار في الرقص والغناء للذين برعوا وتميزوا فيهما وامتدت تأثيرات الغجر في اوروبا في القرنين الاخيرين الى ساحات الأدب والمسرح كما هي الحال في مجالي الموسيقى والغناء وصار لهم شأن ذائع في الخيال الشعبي يتجلى بقصص(كارمن)الادبية وأوبرا (كارمن) وأفلام الغجر وكارمن السينمائية واشباهها الكثيرة[2].

عرف الغجر بارتباطهم العميق بالموسيقى عزفاً ورقصاً وغناءً وكانت مواهبهم سبباً رئيساً في حصولهم على قدر من التسامح[3]

١- منير البعلبكي، مصدر سابق، ص٧٦.

٢- وول ديوارنت، مصدر سابق ، ص١٧١.

٣- الدكتور محمد عمران، موسيقى الغجر المصريين، ص٨١.

والصفح واتضح ذلك من خلال المهرجان السنوي الذي تقيمه تركيا في بعض مدنها احياءً للتراث والعادات الغجرية إذ يكثر في ذلك اليوم الرقص والغناء وارتداء الملابس الملونة والمبهجة كجزء من هويتهم وعادةً ما تغلب مشاعر الحنين على اغانيهم التي تتحدث عن الحب والفقر والطرق الطويلة والحرية ويتميزون بلون بشرتهم السمراء ومطابقة لون شعرهم مع لون بشرتهم كما يعرفون بعيونهم اللامعة واسنانهم البراقة ومناكبهم العريضة وقصر قامتهم نسبياً ويلفتون الأنظار بملابسهم وزينتهم المتشابه للقرويين والهنود في الالوان والتطريزات.

إن الغجر ينقسمون الى عدة فئات منها غجر اصليون وغجر خليط والفئة الثالثة عبارة عن جماعات من طوائف اخرى تعمل بمجالهم ورغم ان عمل الغجريات في الغناء والرقص يتطلب التنقل من مكان لآخر لكن أي رجل لا يتمكن من الاعتداء عليهن او يأخذ منهن ما يشتهي وهي ايضا ترقص امامه وتغني وتعزف لكن يمنع عليها الاقتراب من الزائر مهما كانت الاسباب، فالغجرية تعيش ضمن

عائلة وأي تصرف شائن تكون نتيجته القتل على يد عائلتها وكانت الغجرية ممنوعة من الزواج من اجنبي او اقامة علاقة حب معه وهذه الفئة لديها شيخ واحد يسيطر على القبيلة ولا يمكن الخروج عن امرته اما الفئتان الاخريات فيتمتعان بنوع من الحرية(١).

•- كان تميز الغجر سهلاً بسبب انماط لبسهم الغريبة فقد كانت نسائهم يلبسن الملابس الفضفاضة المزركشة ويتخذن زينة من الحلي المختلفة بشكل كثيف ولافت للنظر ويضعن على اذانهن حلقات كبيرة من الفضة تنعكس عليها اشعة الشمس مكونة بريقا يضفي على الغجرية مسحة جمالية خاصة مع تزيين الوجه واسبال الشعر الاسود على جانبيه، اما الرجال فيلبسون الملابس المبهرجة متعددة الالوان اضافة الى وضع لفافة حول الرقبة(٢).

•- للمرأة في المجتمع الغجري احترام كبير ذلك لقدرتها على كسب المال المرتبط بقراءة البخت، فهي تعتبر المصدر الاساسي للدخل اما عمل الرجل فهو مصدر دخل داعم.

١- نبيل صبحي حنا، مصدر سابق، ص١١.

٢- زكي إمام الحويجي، الغجر، ٢٦.

•- يؤمن الغجر بالأسرة الممتدة كوحدة اقتصادية ويقوم الآباء بترتيب زوجات أبنائهم الذين يتم تزويجهم مبكراً وغالبا ما يكون في منتصف او أواخر سن المراهقة[1].

•- تمنع اخلاقيات الغجر الصارمة الفتاة من التودد للرجال او مغازلتهم باعتباره امراً مشيناً رغم انهن يشاركن الذكور في الرقص.

•- ومن عادات الغجر في الزواج هي ان يتصافح الزوجان ثم تكسر قطعة من الخبز وتسكب عليها قطرات من الدم من ابهاميهما ثم يأكل كل واحد منهما القطعة التي فيها دم الآخر، ثم يكسر ما تبقى من قطعة الرغيف على رؤوسهما وبعدها يغادران مكان الاحتفال ولا يحضران إلا في اليوم التالي للمشاركة في الغناء والرقص وبذلك يتم الزواج، اما الطلاق هو قليل الحدوث بين الغجر بشكل عام[2].

•- يتزوج الغجري بالغجرية في سن مبكر جدا وذلك الزواج يتبع التقاليد الغجرية بصرامة من حيث طريقة الاحتفال ففي البدء يعطي

١- عبد المنصف ابو نجم، مصدر سابق، ٧٩.

٢- هوارد غرينفيلد، الغجر، ص٦٥.

الغجري البنت التي يختارها للزواج لفافة عنقه(الشال) وإذا ما ارتدت البنت تلك اللفافة فهذا يعني انها قبلت الزواج به وإلا فلا.

•- لا تحبذ جماعات الغجر زواج الغجري او الغجرية من غير الغجر وتعتبره من الافعال المشينة وتطرد الغجرية من العشيرة في حين تكون العقوبة مخففة بالنسبة للغجري الذي اقترن بامرأة غير غجرية مع انها تقابل بالكراهية والازدراء والتهميش، لذلك فإن الزواج التقليدي هو الاكثر شيوعا بينهم ويفضل الغجر في اوروبا زواج الاقارب حيث يبدئون بأبناء الخال او العم ثم أبناء المهنة الواحدة يليهم بقية القبيلة.

•- في السابق كانت تعتبر المرأة الحامل عند الغجر غير طاهرة وبالتالي تعزل في خيمة منفصلة وبعيدة عن العربة وعند قدوم ميقات وضع الطفل تذهب الأم المرتقبة بعيدا بمفردها الى شجرة حيث تضع مولودها هناك او تضع مولودها في خيمة اخرى وتستمر فترة العزل للمرأة بعد الولادة مدة تتراوح بيت اسبوعين الى شهرين بعدها تمارس حياتها العادية بصورة طبيعية، ولا يلمس والد

الطفل ولده إلا بعد ان يتم تعميده حسب التقاليد المسيحية، إلا ان قد تغير هذا الوضع واصبح بمقدور الغجرية ان تذهب للمستشفى لإجراء عملية الولادة ويستطيع الزوج أن يزور زوجته وولده.

•- ومن الاساطير التي نسجت عن الغجر بخصوص عادات الوفاة وربطها اصحاب الخيال الواسع ان كانوا من الغجر انفسهم او من مؤلفو القصص فيقال، تعتبر عادات الوفاة من اكثر العادات القديمة التي دامت عند الغجر وايضا تلعب العربة دوراً ظاهراً في تلك العادات، فبعد وفاة أحد من الغجر تحرق عربته، وفي الاوقات الصعبة يقومون ببناء خيمة وتدميرها عوضا عن احراق العربة قبل دفن الغجري المتوفي، ولا يتناول الغجر الطعام ولا الشراب ويقوم ثلاثة من الغجر بحراسة المتوفي من الارواح الشريرة، وقد استمرت هذه العادات حتى عام ١٩١٥م وعادةً ما يكون الكفن واسعاً لاحتواء ممتلكات المتوفي الى جانبه ويقومون بإلباسه افضل الازياء لديه أما المرأة فتدفن معها جميع ممتلكاتها الثمينة، إلا في حالة ان يكون لديها بنات من دم غجري خالص عندها يرثن تلك الممتلكات وفي

بعض شعوب الغجر يعتقدون ان الموت في الفراش لايليق بالغجري وعليه ان يموت خارج المنزل او الخيمة حتى تنقل روحه الى العالم الآخر، ومنهم من يحرق الخيمة حزناً على الميت ويتم التخلص من معلقاته.

•- هناك مثل غجري يقول: إذا قطعت الغجري الى عشرة اقسام فلا تظن إنك قتلته، وإنما أنت في الحقيقة قد صنعت منه عشرة غجريين.

•- ومثل آخر يقول: حين تحين ساعاتهم وينتهي الناس البلهاء من افناء بعضهم بعضاً بإطلاقهم قوى عشواء، ينزلون الغجر من جبال تبت ويصبحون ينبوع حياة جديدة على الأرض.

•- لايميل الغجر بشكل عام الى ادخار المال وليس لهم رؤى اقتصادية ويميلون الى الاسراف والتبذير.

•- الغجر يخافون البحر ويفضلون عبور الصحاري مرات متعددة ولا يعبرون النهر مرة واحدة ويرجع ذلك في معتقدهم ان هناك لعنة حلت بأجدادهم بسبب محاربتهم اهل الكتاب المنزل وتجديفهم عليهم

فابتلعهم البحر ولم ينج من هذه السلالة إلا القليل الذي كان استمرار لأمة الغجر.

دخل الغجر المجتمع العربي عن طريق بلاد فارس ولهم ازياء تخصهم ويعيش الغجر في عدد كبير من بلدان الوطن العربي بعضهم استطاع ان يندمج مع المجتمع الذي يعيش فيه وبعضهم قاوم دعوات الاندماج واصر على البقاء في حدود مجتمعه الخاص بعاداته وتقاليده.

غجر العراق

لم يخطر في بالي يوماً تأليف كتاباً عن الغجر حتى جمعتني الصدفة منذ عاماً مضى مع شخص يدعى(ر) فوجدته رجلاً طيباً صالحاً صائماً مصلياً، وبعد توطيد علاقتي به اكتشفت انه من الغجر، تفاجأت وانتابني الفضول لمعرفة حقائق وخفايا هذه الفئة التي يجهل اغلبنا عاداتها وتقاليدها وما هو السبب ان تكون حياتهم بهذا الشكل الذي نعرفه عنهم، بدأت التواصل معه ومجالسته مدة من الزمن عسى أن استفيد منه في بحثاً خطر في بالي فجأةً فأطمأن لي وأخذ يبوح بجزء قليل مما يعرفه، فهو الأخ الأكبر لإخوته الخمسة ووالده كبير هذه العائلة ولايزال حياً مع كبر سنه وهم من احدى عشائر الغجر الجنوبية يبلغ عمر(ر) اكثر من ستين عاماً حسب تقديري لكون لم تكن عندهم هويات في ذلك الوقت وجميع اعمارهم التي دونت في بطاقاتهم بالفترة الأخيرة هي غير دقيقة، استمر تواصلي معه فعرفت ان اغلب ذريته بنات وله ولد واحد وجميع بناته متزوجات ولديهن اطفال وليس لديه حالياً في

منزله البسيط سوى زوجته واصغر بناته سناً تدعى(ز) عمرها اكثر من عشرين عاماً بقليل، كانت متزوجة وعندها طفلة، فجالستها وتكلمت معها وكان حينها معي شخص يكتب ما يقال من سؤال وجواب ومن خلال هذا الحديث اتضح لي مدى الجرأة التي تحملها المرأة الغجرية فوجدتها اكثر جرأة وشراسة من رجالهم وفي نفس الوقت اكتشفت المزايا التي تتمتع بها، فهي محيط عميق من الأسرار، صريحة وصعبة المراس فضلاً عن كونها لطيفة وودودة ومرحة ولا تمل الجلوس معها وباختصار شديد هنا اكتشفت ان المرأة الغجرية تختلف كثيراً عن العربية والأغرب الذي لفت انتباهي انها تتفاخر كونها غجرية او(كاولية) على عكس الذي وجدته في رجالهم يحاولون اخفاء اصولهم.

فالنساء الغجريات تحترم عملها وتقدسه مهما كان نوعه ولها حرية شبه مطلقة، عدى المال الذي تكسبه فهو من حصة اهلها وهم ملتزمون بكافة احتياجاتها من مأكل وملبس واكسسوارات تحتاجها في عملها، ومن خلال الحديث وجدت عندهم الكثير من القوانين

والالتزامات الداخلية للعائلة والعشيرة، لم اكتفي بما حصلت عليه من هذه الأسرة الأمر الذي دفعني للبحث عن أسر اخرى لتأكيد ما قيل وحصلت ايضاً على شخص كبير عمره يزيد الستين عاماً زودني ببعض المعلومات مقابل مبلغ من المال، لاحقاً سنبين ما توصلنا له خلال لقاءاتنا مع الغجر وخاصة عن عاداتهم.

نستغرب جميعاً لو علمنا ان يوم ٨ نيسان من كل عام هو اليوم العالمي للغجر، يهتم في ثقافتهم ويسلط الضوء على ممارسات الاضطهاد والتميز العنصري الذي يواجه الغجر، ورغم تواجدهم بين شرائح المجتمع لكن ظلت اسرارهم حبيسة الصدور.

ونستغرب ايضاً لو علمنا ان السيدة انديرغاندي رئيسة وزراء الهند سبق وان طالبت بغجر العراق وسعت لعودتهم الى بلادها باعتبارهم من اصول هندية، لكن الحكومة العراقية آنذاك رفضت الطلب ووصفت غجر العراق بأنهم مواطنون عراقيون ولا يمكن التخلي عنهم.

اتفق علماء الغجريات على الاصل الهندي للغجر وهذا ما يؤكده بشرتهم ولون عيونهم وقوامهم التي تشبه سكان الهند[١] وافغانستان وهذا لا يعني ان اصلهم من افغانستان وانما قد مروا في طريقهم من السند الى ايران لأن مدينة كابل تسيطر على المدخل الغربي لممر خيبر الواصل بين السند وافغانستان[٢] واستنتج العلماء ايضاً ان الغجر قدموا من الهند هرباً من الغزوات البربرية التي اجتاحت الهند فلم يتحملوا موجات الغزو تلك فغادرت قبائلهم البلاد متجهون الى هذه البلدان نحو المجهول.

اما المستشرق(توماس وولكر آرنولد) ذكر ان الغجر في العراق هم خليط من مجموعات بشرية مختلفة نتيجة لاختلاطهم بكثير من المجتمعات قبل استيطانهم فيه، وان لديهم ديمومة حضارية ساعدت على استمرارهم بقدر اكبر من كونهم مجموعة من الناس حافظت على اصلها، فإن موقع العراق الجغرافي المتميز في منطقة الشرق الاوسط قد جعل منه جسراً سلكته منذ عصور ما قبل التاريخ ولا

١- هوارد غرينفيلد، مصدر سابق، ص١٢٤.

٢- طه حمادي الحديثي، مصدر سابق ، ص١٩.

زالت تسلكه مجموعات بشرية مختلفة، منها عبرته بسرعة ومنها من استقرت فيه لدوافع اقتصادية او اجتماعية او سياسية، لذلك كان استيطان الغجر في العراق على شكل موجات متتالية، ويشكل الغجر في العراق اقلية عرقية ينتشرون في جماعات صغيرة بطول أراضي البلاد تقريباً عدى مدنه المقدسة[١] مع انهم يؤدون شعائرها الدينة بكل التزام، وكانوا يسكنون في مجتمعات فردية منعزلة وان هوية الغجر في العراق وصفها الدكتور حميد الهاشمي انها تحمل ابعاداً ميثولوجية[٢] واسطورية في الخيال الشعبي العراقي وكان يندر اندماج الغجر في المجتمع منذ ان وطأة مجاميع الهجرات الأولى للغجر القادمة من شبه الجزيرة الهندية الى أرض الرافدين[٣] ومن حينها وهم يعانون القهر والظلم والرفض والعزلة التي فرضها عليهم المجتمع بسبب خصوصية الثقافة التي يتميز بها هذا النسيج والمتمثلة بالتحرر من بعض القيم السائدة والمتصادمة مع الموروث الثقافي والاجتماعي والديني للمجتمع العراقي وينظر إليهم المجتمع

١- الدكتور طه حمادي الحديثي، مصدر سابق، ص٢٧.

٢- الدكتور حميد الهاشمي، تكييف الغجر، ص ١٩٧.

٣- اديب ابي ظاهر، الغجر الرحالة الظرفاء، ص ١٢٦.

نظرة ازدراء من الصعب جداً تغييرها دون عمل حكومي ممنهج ومدروس، ويوجهون لهم اقبح الصفات والشتائم واصبح اقسى ما يقال لشخص في العراق وصفه بالكاولي.

من الاسماء التي عرف بها الغجر في السابق هو(الزط) وكان يعد الاسم الأشهر والأقدم للغجر عند العرب[١].

•- يقول المستشرق(دى خوى) ان تسمية الزط جاءت بسبب انهم قد جاءوا من غرب الهند وان معظمهم ينتمي الى قبيلة (جت) القاطنة في السند بجوار منطقة مولتان[٢].

•- ويقول ايضاً انه لا يوجد ما يثبت ان الزط هم اسلاف الغجر في العراق لكون تسمية الزط لم تقتصر على جماعة بشرية معينة وانما اطلقت على جميع السنديين المهاجرين الى العراق آنذاك.

•- ويقال انها كلمة معربة عن(جت) الهندية المأخوذة من اسم شعب قديم من شعوب شمالي الهند يسمى (الجاتس)[٣].

١- محمد أمين زكي، مصدر سابق، ص٩٣.

٢- آرثر كريستن: ايران في العهد الساساني، ترجمة يحيي خشاب، ص١٧٧.

٣- ثامر العامري، مصدر سابق، ص٢٥٨.

•– اما الدكتور مصطفى جواد فيتفق مع رأي المستشرق(دى خوى) إذ قال ان مصطلح الزط هو اقدم تسمية للغجر في العراق حيث عرفوا به لأول مرة أبان حكم الحجاج بن يوسف الثقفي.

ويعد اقدم ذكر ل (الزط) في المصادر العربية يعود الى ما قبل الإسلام في منطقة شرقي الجزيرة العربية المطلة على الخليج يتبعون الكلأ، وخلال الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس اسلمت جماعات من(الزط والأساورة والسيابجة)على يد أبي موسى الاشعري عند فتح مدينة السوس، بعد ان هرب يزدجر ملك الفرس، ثم قام معاوية بن أبي سفيان بنقل قوما من(الزط والسيابجة)الى سواحل الشام وانطاكية وكذلك فعل بعده الوليد بن عبد الملك فنقل بشراً منهم الى انطاكية وناحيتها، وقد استقدم الحجاج أواخر القرن الأول الهجري خلقاً كثيرة من زط الهند واصنافا ممن فيها من الناس مع اهلهم واولادهم واسكنهم منطقة كسكر في العراق الاوسط والى الجنوب فغلبوا على البطيحة واجتمع اليهم قوم من اباق العبيد والموالي وأخلاط الناس وتكاثروا فولى المأمون بحدود ٢٠٥هـ/٨٢٠ م عيسى بن يزيد

الجلودي محاربتهم ثم ولى في سنة ٢٠٦هـ/٨٢١ م داود بن مسجور اعمال البصرة وجوارها ومحاربة الزط، استشرى شر الزط في أواخر عهد المأمون[١] واستقووا على قطع الطريق بين البصرة وبغداد ومناوأة السلطان وصاروا الناس يتحامون الاجتياز بهم، وانقطع عن بغداد ما كان يحمل اليها من البصرة في السفن وقادهم في عصيانهم رجل اسمه سملق فلما استخلف المعتصم بالله تجرد لهم وولى محاربتهم رجلاً من اهل خرسان هو عجيف بن عنبسة وضم اليه القواد والجند ولم يمنعه شيئاً طلبه من الاموال فسار عجيف بعسكره الى اسفل واسط ورتب البريد السريع بينه وبين بغداد وسد الأنهار التي يستخدمونها الزط وحاصرهم في كل وجه ولما أخذ عليهم طرقهم حاربهم وقتل منهم في المعركة ثلاثمئة وأسر خمسمئة وضرب اعناقهم وبعث برؤوسهم الى المعتصم[٢] واستمر يقاتلهم حتى تمكن منهم عام ١٩١هـ/ ٨٣٤ م[٣] واخذهم مستسلمين بالأمان على دمائهم واموالهم ولم يشذ منهم أحد وكانوا بحدود (٢٧)

١- ثامر العامري، مصدر سابق ، ص٢٦١.

٢- الدكتور محمد عمران، مصدر سابق، ص١٢٣.

٣- الدكتور نبيل صبحي حنا، جماعات الغجر، ص ١٩٧.

الف انسان بين رجل وامرأة وصبي فعبأهم في السفن على هيأتهم في الحرب ومعهم الابواق حتى دخل بهم بغداد واستعرضهم المعتصم من فوق سفينة وهم في زواريقهم ينفخون في الابواق ثم سيقوا الى الجانب الشرقي ودفعوا بهم الى بشر بن السميدع فذهب بهم الى خانقين وجعل بعظهم فيها ونقل سائرهم الى الثغور ولاسيما منها عين زربة [١] قرب المصيصة حتى كانت سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م حين اغار الروم على عين زربة فقتلوا منهم بعضاً وسبوا الباقين مع النساء والاولاد[٢] إلا ان مجموعات صغيرة منهم ظلت في البلاد الى ان نشب النزاع على السلطة بين افراد البيت البويهي فاستخدم عضد الدولة بعظهم واستخدم منافسه وابن عمه بختيار بعضاً آخر بصفة عسكر مرتزقة، ففنى كثيرون منهم في هذا الصراع مثلما مات كثيرون منهم ايضا في خدمة عضد الدولة في اثناء قضائه على عصيان(القنص والبلوص)[٣] وهم جماعات زطيه ايضاً في منطقة كرمان.

١- عز الدين ابي الحسن ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٤٣.

٢- أحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٢٢.

٣- مصطفى جواد، مصدر سابق، ص٦٠.

لقد ضل الغجر يصعدون الى الشمال الغربي ودخلوا بلاد فارس ثم نزلوا السهل العراقي وكانوا بدو رحل يعتاشون على منتجاتهم الحيوانية وخصوصاً الحليب وامتهن بعض رجالهم ونسائهم الرقص والغناء الذي حملوه معهم من ديارهم ليمارسوه في مناسبات وافراح القرى التي نزلوا بجوارها، فإن الغجر لم يختلطوا بالسكان بشكل مباشر في العراق لأن الأراضي الزراعية كانت خاضعة لإصحابها العراقيين فلا مجال لهم ممارسة الزراعة ولهذا بقوا على اعتاب القرى وغلب عليهم الترحال الدائم وشيوع الجهل والأمية وإتباع النظام القبلي وعدت جماعات منبوذة في نظر المجتمعات التي تعيش في كنفها لسلوكها بعض الأعمال غير القانونية.

ذكر(كيفن هولمز) أبرز الباحثين الاوربيين الذين كتبوا عن الغجر فيقول، ان الغجر لم يسهموا في نهضة الدول العربية التي دخلوها بل كانوا سبباً في إثارة الاضطرابات في عدد من العواصم العربية التي عاشوا فيها وهم ليسوا كباقي القوميات الأخرى، ذلك بحكم إنهم كانوا اقوام عابرون للمكان والتاريخ وعملوا بعض المتاعب بسبب

عاداتهم المغايرة للتقاليد والأعراف لكنهم متأثرون بالعرب وبالكثير من عاداتهم مع إنهم لم يختلطوا معهم بشكل مباشر، لذا ينفرد الغجر والقرج عن المجتمع العراقي بقسم من الصفات والعادات فضلاً عن اللغة الخاصة بهم والتي ينفرد ايضا الغجر عن القرج لكنهما يشاركان المجتمع بـ(الدين والزي واللغة والشعور القومي) حيث يعتنق غجر العراق الإسلام وهم يؤدون شعائره الدينية كيفية افراد المجتمع كـ(الزواج والطلاق والموت والدفن وتناول الاطعمة) اما من الناحية الاجتماعية فيتميز الغجر والقرج بميزات تجعلهم منبوذين من وجهة نظره ذلك لسلوكهم الشاذ بمزاولة بعظهم مهنة الرقص والغناء فضلاً عن البغاء الذي تمارسه بعض اسرهم.

يذكر الدكتور طه حمادي الحديثي، لقد اظهرت الدراسات ان لغة الغجر الخاصة تتكون من مفردات فارسية وآريه وعربية وكردية، وقد تبين من خلال تحليل بحدود ٢٩٤ كلمة الى اصلها، ان ٢٠٨ كلمة فارسية و٥٤ كلمة عربية و٢٣ كلمة مجهولة الاصل و٣ كلمات معاصرة مثل التلفزيون والسينما والدكتور و٣ كلمات مغولية و٢

كلمة كردية، ويرى ان الناشئين من أبناء الغجر في طريقهم الى نسيان لغة آبائهم حتى اضحت قليلة الاستعمال، فالقرج تنقسم لغتهم في مجموعتين، المجموعة الكبيرة تتكلم اللغة الكردية ولهجاتها المختلفة ويستخدمون اللهجة الكرمانجية الشمالية بسبب ترحالهم بالمناطق التي تنطق بها، في حين ينطق قرج اللطيفاوة اللهجة الكورانية مع هناك تأثر باللهجة اللريه، وهذا لا يعني عدم تفاهم المجموعتان بعضاً بلغة البعض الآخر فضلاً عن استعمالها اللغتين العربية والكردية، لذلك نجد ان لغة الكاولية تختلف عن اللغة القرجية بسبب العامل الجغرافي[١]إذ إن الغجر (الكاولية) كونوا لغتهم من خلال ترحالهم بين بيئات ايرانية وعربية، اما القرج فقد اكتسبوا لغتهم بتأثير اختلاطهم بالمجتمع الكردي والتركي[٢].

كان العصر الذهبي لغجر العراق في أواخر السبعينيات والثمانينات وصولا الى منتصف التسعينيات من القرن الماضي وكان الكثير من اصحاب السلطة والنفوذ اصبحت لديهم محميات من الغجريات

١- محمد امين زكي، مصدر سابق، ص٦٧.

٢- الدكتور طه حمادي الحديثي، مصدر سابق، ص١٢.

اغدقوا عليهن الغالي والرخيص شريطة ان تبقى هذه المحمية له وحده وقد حصلت جرائم قتل كثيرة بسبب الخلاف حول امتلاك هذه الغجرية او تلك، والسبب في ذلك لأنهم ولدوا في بيئة فقيرة وبدوية لم يكن باستطاعتهم ان يروا أي فتاة سوى الغجرية عندما كانت تنزل قرب قراهم لذلك اصبحت الغجرية حلماً لهم، فامتزج هذا الحلم باللاوعي واصبح عنصراً يحرك المشاعر ويثير الرغبات لأنها كانت مكبوتة في نفوس هؤلاء، وعندما كبروا وامتلكوا المال والسلطة قفزت هذه الرغبة المكبوتة امامهم فكان عليهم ان يمتلكوا الغجريات بعد ان امتلكوا المال وبسبب ذلك حصل الغجر على مكانة اقتصادية جيدة في تلك الحقبة من الزمن.

إن لغجر العراق قصة مغايرة عن غجر الشرق واوروبا وحتى تسميتهم مختلفة إذ يطلق عليهم اسم الكاولية ويقدر عددهم اليوم بحدود ٥٠ الفاً بعد ان كانوا بحدود ١٢٠ الف قبل عام ٢٠٠٠م ومثل بقية الغجر حول العالم يشكو غجر العراق التهميش والتمييز لكنهم بعد عناء طويل تحقق لهم انجازاً مهما هو حصولهم على

الهوية العراقية والاعتراف بهم كمكون عراقي لم يكن احتراماً لحقوق الانسان وانما لزج رجالهم في الجيش والمشاركة في الحرب الدائرة آنذاك، ومع ذلك قرار منحهم الجنسية العراقية اعتبره الكثير انه منصفاً لكون الغجر مواطنين على أرض العراق منذ زمن بعيد ولا يوجد ما يثبت خلاف انتماءهم لغيره، ورغم ان البطاقات قانونية إلا ان كلمة استثناء جعلتهم مواطنين من دولة اخرى غير موجودة لكنها مع ذلك فهي افضل من كلمة غجري التي كانت تذيل خانة اللقب في بطاقات هويات الغجر وسببت لهم الكثير من المشاكل، مع تخوفهم ان يتم الغاؤها في يوم ما بسبب مزاجية القرار السياسي في البلاد، وبإصدار هذه البطاقات نستطيع القول ان التميز انتهى حكوميا وتشريعياً وقانونياً بإعلان حقهم في البطاقة الوطنية لكن التميز ضدهم لم ينته اجتماعياً ولا يمكن الوصول الى مرحلة تقبل الغجر إلا من خلال احتواءهم والاهتمام بهم ومتابعة سلوكيات حياتهم ومعاقبة المسيء منهم فضلاً عن اصلاح اوضاع حياتهم لكي يتم غرس مفاهيم التسامح وقبول الآخر عند الأجيال القادمة

ويتم التأسيس لها بطريقة منهجية مؤثرة وبصورة مهنية بعيدة عن الاحتقان العنصري فإن الغجر مكون اجتماعي لا حقوق له منذ تأسيس الدولة العراقية في بداية عشرينيات القرن الماضي[١]وهو يعاني نظرة افراد المجتمع الدونية له وفي منتصف التسعينيات شهدت اعتداءات كثيرة على الغجر بإعلان الحكومة حينها الحملة الايمانية التي لم تعد تسمح بإحياء الحفلات، فأغلقت النوادي الليلية ولاحقت دور البغاء وهذا دفع تهجيرهم بالكامل الى مناطق اخرى متهالكة.

اما في العقود الاخيرة وبسبب الوضع السياسي والامني المضطرب في العراق وتنامي نفوذ الاجندة قاد الى انحسار افراد الغجر بشكل ملحوظ وهاجر قسم كبير منهم الى خارجه فيما بقي البعض من القسم الآخر يمارس مهنة الطرب والرقص[٢] وبيع الهوى بشكل سري وما تبقى منهم يرغب العيش بسلام وأخذ يتنكر لهويته ويذوب بشكل نهائي في المجتمع.

١- الدكتور حميد الهاشمي، تكييف الغجر، ص٩٢.

٢- عبد المنصف ابو نجم، مصدر سابق، ص٦٥.

كانت قرى الغجر صلاتها بمحيطها من المدن قوية ثم اصبحت مؤخراً لا ترتاح لوجودهم وتعتبر اهلها اشخاص فاسدون وخارجون عن الاعراف والدين ولم يبق من قرى الغجر في العراق التي كانت تسكنها مئات العوائل سوى اطلال منازل متهالكة ومبعثرة هنا وهناك بعدما فقدت اهلها الذين اليوم يعيشون حياة مأساوية، فقد تم رميهم خارج اساورها ليتخذوا من مناطق العشوائيات مسكنا لهم ومهنة التسول في الشوارع والاحياء مورداً لمعيشتهم وكثيراً من النساء اجبرت على هذه المهنة لقساوة الظروف وصعوبة تأمين لقمة العيش ولم تعوضهم الحكومة عما لحق بهم من الاضرار بعد تهجيرهم مع انه واجباً عليها، لكون لهم حقوق اسوة بغيرهم من المواطنين ولهم حق العيش في البلاد فهم يحملون الجنسية العراقية وكفل الدستور ذلك دون تمييز بين فئة واخرى.

تعرض الغجر في العراق بعد عام ٢٠٠٣م لعمليات انتقامية مسلحة في انحاء متفرقة بسبب امتهان بعظهم للرقص وبيع الهوى فدمرت قراهم وهدمت منازلهم وشردوا، فغجر العراق يعيشون اسوأ ايامهم

ومهددون باستمرار كما ان اوضاعهم المعيشية مزرية وهم عملياً محرومون من ابسط حقوق البشر وبسبب الاضطهاد اضطر اغلبهم الى التخفي بين تجمعات الاهالي ويحاولون ألا يعيشوا في تجمعات متميزة ومعروفة خوفا من البطش والاعتداء عليهم مع انه شارك الكثير من رجالهم في الدفاع عن الوطن أبان الاحتلال البريطاني وكانوا يقاتلون العدو جنباً الى جنب أبناء العشائر، ثم تطوع الكثير من شبابهم للقتال تنفيذا لفتوى الجهاد والدفاع عن وطنهم ومقدساته.

إن المجتمع عادةً يتمركز على التربية المبنية على الأسس التي تمليها العوامل المختلفة التي تؤلف مجتمعاً ما، من تراث قديم الى تقاليد معينة الى تأثير التيارات الاجنبية والثقافات التي تنتقل من الشعوب الاخرى، وعلى هذا فإن مشكلة الغجر انها عادة متأصلة في نفوس اصحابها، وهنا واجب الارشاد لكي تقوم هذه الفئة بواجبها وبث روح جديدة في نفوس ناشئتهم وصغارهم قبل ان تتبلور في نفوسهم مفاهيم تلك التقاليد، وبما ان الغجر هم عضو من المجتمع اختلفوا عن تيار النمو الطبيعي وشذو عن الطريق المألوفة وضل

حالهم دون تبديل وتطوير وفقاً لمستلزمات العصر الحديث ولايزال قانونهم بدائياً يكاد يكون قانوناً طبيعياً بينما صارت القوانين تتبلور شيئاً فشيئاً نحو الاصلاح الاجتماعي وتحسين نظريات العقاب وبالإمكان ان يتبدلوا، لكننا نعلم ان التبدلات المفاجئة ان نجحت على الأشياء والجمادات فإنها فشلت عند تطبيقها على الانسان وذلك يتطلب هنا القيام بالمجهود تدريجياً وتطبيق نظرية احلال العادات، وعلى الاختصاصيون ان يبدئوا بأبسط العادات التي لا ضير في استبدالها بعادات اخرى حينها سيضطر الغجر الى ترك العادات التي ألفوها وترك العيش في المحيط الذي تعودوا عليه ونبذ العادات الضارة التي تولدت لديهم من جراء حياتهم الخشنة القاسية، وعلينا الاعتراف ان التوطين ليس أمراً سهلاً على الغجر حتى وان صار الأمر سهلاً على الحكومة ان تقوم به لكونها تعتبر الأب الراعي لجميع افراد شعبها، وبإمكان الحكومة تجنيد جزء من امكانياتها لهذا الغرض النبيل الذي هو من صميم واجباتها، فلو سايرت هذه الفئة مدارس سيارة تقوم شيئاً فشيئاً بتحويل عقول

الناشئة الصغار وتنويرها وتهذيبها لحصلنا في القريب العاجل على جيل جديد يستجيب بسهولة لأي دعوة للاستقرار ولا يمكن ان يدعى المجتمع فاضلاً كاملاً مالم تقم العناصر المفكرة البانية فيه العمل على تطوير هذه الفئة واخضاعها للأنظمة والقوانين واهمها العرفية والقضاء على ما يفكك وحدة المجتمع، ونستطيع القول ان تحضير هؤلاء الناشئة سيتضمن فوائد جمة لهم من الناحية المعنوية، فهؤلاء الناس الذين يعيشون على الفطرة والذين لا يهمهم إلا ان يملئوا بطونهم فإذا أتم لهم ذلك تغيرت احوالهم ويؤكد علماء الاجتماع على ان قوة المجتمع هي من قوة الروابط بين افراده فإذا كانوا منفصلين بعظهم عن بعضاً ومختلفين في التقاليد والعادات كان ذلك ادعى الى تفكك الرابط الاجتماعية بينهم وبالتالي الى عدم انسجام المجتمع نفسه وتنوع المبادئ التي يقوم عليها وينهض على دعائمها، مما قد يتباين احياناً فيؤلف خطراً على الوحدة التي تربط لبناته بعضاً ببعض فسلامة المجتمع لا يمكن ان تنهض على القوانين فقط بقدر نهوضها المكين الراسخ على الروابط التي توحد

بين الافراد وتوجد بينهم نوعاً من التضامن الاجتماعي والشعور بالوحدة والمسؤولية المشتركة كما ان الفرد لا يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه نحو بلاده مالم يجد الظل الظليل وكذلك حكومته مالم تشعره بأنها تعمل من اجله فعليه واجب ان يعضدها في تحقيق ذلك، ومن اولويات العمل على ذلك معالجة عاملين مهمين الأول هو الفقر المستشري لكونه من العوامل المؤدية الى عدم الاستقرار والقلق والتنقل في ارجاء الأرض بحثاً عما يروي ويشبع الامعاء وثانياً مشكلة الجهل فإنها تؤدي لبقاء معظمهم جاهلاً لا يدرك مصالحه ولا يعرف كيف يطالب بحقوقه فيما إذا نام عنها المصلحون، فهناك ما يكفي من الأسباب على ما يظهر تفاقم المشكلة ولو دققنا جيدا لوجدنا سبب كل ذلك هو عنصر الاهمال وسياسة ترك الامور تجري على حالها دون تغيير ولا تبديل، لا يخفى ان مشكلة الغجر جذورها عميقة ومثل هكذا مشاكل تتطلب تصميماً بعيد المدى حتى انهائها، اما إذا بقي الحال هكذا مجرد الاعتماد على التقارير المقتضبة التي غلب عليها روح الدعاية

وتستخدمها الحكومات لتبرير سياستها ضد هذه الفئة من المجتمع وعدم الاستفادة مما استخدم في باقي دول العالم ودراسة الامور من قبل اختصاصيين يقومون بالسفر الى تلك الدول لقياس مدى التقدم الذي وصلوا اليه بهذا الجانب.

وضع افلاطون أحد فلاسفة الاغريق نموذجاً للمجتمع الصالح في جمهوريته، وحذا الفارابي أحد فلاسفة الإسلام حذوه، حين نقرأ عن الفارابي نجده يصف المدينة الفاضلة بأنها المدينة التي يتعاون اهلها لنيل المساعدة الحقيقية، فاذا قام كل فرد بعمله واتقن مهنته وانجز مهمته اصبح مجموع هذه الجهود المنظمة التناسق والتآلف الذي يحلم به البشر، ويكمل ان في ائتلاف اعضاء المدينة ما يشبه توازن اعضاء البدن والفرق بين تركيب البدن وتركيب المدينة ان اعضاء البدن طبيعية واعمالها قسرية لا تصدر عن ادراك واختيار اما اعضاء المدينة فبعلمهم ورضاهم يتحدون، إذا ارادوا اجتمعوا وإذا ارادوا تفرقوا، وإذا شاءوا اتبعوا الحكمة، وإذا شاءوا اتبعوا الجهل والضلالة.

الكل مقتنع ان لا شيء يصعب على الحكومة وبإمكانها تحقيق ما تروم له، فإنها لو احتضنت فئة جعلتها بشراً وان غيبتهم جعلتهم حيوانات تقاتل من اجل البقاء، الى متى يبقى أبناء هذه الفئة اغلبهم عاطلون عن العمل دون وظائف لأنها محرمة عليهم ولا يسمح لهم بالعمل حتى في القطاعات الخاصة لأنهم منبوذون، كان واجب على الحكومة الاهتمام بهذه الشريحة وفسح فرص عمل لهم لكونهم ماهرون بالصناعات الحديدية والنحاسية وتصليح الاسلحة والغريب في الأمر حتى المنظمات الدولية والمحلية لم تحرك ساكناً بخصوص معاناة هذه الفئة من المجتمع مع ان جميع الحكومات المتعاقبة الزمت نفسها بالتوقيع على العديد من المعاهدات الدولية التي اشترطت حفظ كرامة الانسان بغض النظر عن لونه وعرقه ودينه، فالغجر بحاجة الى اهتمام ورعاية وطمأنتهم بوجود متسع من الوقت لإصلاح ما افسده الدهر والعودة الى الله والمجتمع فإن الغجر بشراً وعلينا ان نتعامل معهم بشيءً من الانسانية والاحترام لكون ظروف المجتمع على مدى الدهرواحتقاره لهم جعلهم يتجذرون

في مهنتهم لكن بمجرد الاهتمام بهم حكومياً وتغيير هذه النظرة وهذا التعامل مجتمعياً مؤكد سيحاول الغجري ان يتخلص من كل ما يسبب له الحرج، فهناك دراسات وحلول كثيرة توصل لها المختصون حول اسباب مثل هكذا اختلاف في المجتمع وكانت في دراستها الوصول الى نتائج كيفية معالجة المتمردين في المجتمع وما هي الاسباب والدوافع، وهذا هو الذي جعل الشعوب الراقية تحاول علاج المجرم لا معاقبته، فهو في نظرها غير مسؤول عن اعماله الشاذة وان المسؤولية تقع على ظروفه اكثر مما تقع عليه في اغلب الاحيان، ومن دراساتهم ايضاً توصلوا الى ان هناك اختلافاً كبيراً بين قوانين المادة الجامدة وقوانين المجتمع فالأولى صارمة تخضع لها جميع الذرات المادية خضوعاً تاماً ولا يقع فيها شذوذ او تمرد، اما قوانين المجتمع ليست بمثل هذه الصرامة إذ في امكان بعض الأفراد ان يشذوا عنها قليلاً او كثيراً ولكن يجب ان لا ينسى ان هؤلاء الافراد لا ينطلقون في شذوذهم من تلقاء انفسهم او بدافع من تفكيرهم المجرد فإنهم يقعون تحت وطأة ظروف معينة نفسية او

اجتماعية وغيرها، فيما يجعلهم يختلفون في سلوكهم عن الآخرين ولو كانوا في مثل ظروف الآخرين لما اختلفوا عنهم في اغلب الاحتمالات.

إن العقدين الأخيرين هما من اخطر المراحل التي يمر بها غجر جنوب العراق وتسبب في تحولهم الى متسولين فأينما تجولت بمدنه تصادف بعض الشابات المتسولات ولدى محاورتهن تجد إنهن غجريات لكنهن يتخفين بنقاب وخمار وعند الاسترسال في الحديث وبعد الاطمئنان لمحدثها تقول انها تعيش مع عائلتها واقعاً مريراً وفي الأيام التي لا تخرج فيها للتسول تبقى عائلتها دون طعام، من هنا نناشد الجهات المسؤولة، إلا يعتبر فئة الغجر من اطياف الشعب العراقي الذين لهم حق الرعاية وان تتمتع بحقوقها المدنية والقانونية التي اقرها الدستور وهل بالإمكان ان تحتضنهم الحكومة والمجتمع ويعطونهم الفرصة في الحياة الحرة الكريمة ويتعهدهم بمؤسساته المدنية والقانونية والدينية ويأخذهم في معاهده العلمية ويطهرهم ويطورهم أم سيبقى ينبذهم ويعتبرهم نوعاً من النفايات

ويترفع الساسة حتى عن مناقشة قضيتهم، والى متى تبقى النظرة للغجر ظاهرة اجتماعية متفردة عن باقي التجمعات البشرية الاخرى بسبب تقاليدهم وعاداتهم، اوليس انهم كباقي شعوب الأرض لهم خصوصيتهم وفلسفتهم، أم يعدون جماعة متمردة على كل الاعراف الاجتماعية ورافضة لمفهوم الحدود الاقليمية والقومية والمفاهيم السياسية والاخلاقية، وهل من الصعب اصلاح هذه الفئة والعناية بهم كما فعلت جميع دول العالم، فإنهم وبعد ان هجروا مناطقهم الاصلية المعروفة في البلاد ترك نحو ٩٠% منهم في رحلة بحث جديدة عن الاستقرار وهناك غجر عراقيون متواجدون في محاذات البادية السورية والاردنية فهم غير مرتاحين لنمط معيشتهم ويحاولون الخروج الى بلدان اخرى مثل مصر والمغرب والخليج وحتى اوروبا ومؤشرة علامات استفهام كثيرة حول ما يمر به غجرالعراق والسؤال الأخير هنا، هل نترك شعب الغجر يبقى يتكرر في التجارب القاسية مرة بعد اخرى حتى يتعظ بها من تلقاء نفسه أم ينبغي ان نأخذ بيده ونرشده الى طريق الصواب.

الكاولية

الكاولية كلمة تثير الرعب احياناً والشفقة احياناً اخرى لمن يتأمل في حياتهم وينظر لهم بعين اخرى ومن زاوية مغايرة، فهذه الجماعات التي كتب عليها التنقل والاضطهاد لقرون طويلة من الزمن ماذا ستكون نهايتهم في العراق، لقد تغيرت احوال الغجر في جميع انحاء العالم وبقيت اساطيرهم وعاداتهم الغريبة ليست سوى شيء ممتع يتناوله قلة من الكتاب والباحثين ولا يوجد هناك من الشعوب من يهتم بما يقال اويكتب عنهم لكون لا يوجد عندهم فئة من المجتمع يروها معزولة في جانب من مناطق سكناهم او مدنهم ويهتموا لأمرهم، الغجر في جميع دول العالم تمت معالجة طريقة حياتهم بشكل صحيح وزجوا في المجتمعات لا أحد يعرفهم ولا يوجد ما يميزهم لا زيهم ولا اشكالهم السمراء ولا طول قامتهم، إلا العراق جعل منهم منبوذين متسولين يناضلون من اجل البقاء والحصول على لقمة العيش وجعلهم بدون مسكن او وطن يتنقلون بين مناطقه ومدنه خوفاً من ان يعرف أحداً حقيقتهم بأنهم كاولية فيثور عليهم

المجتمع ويطردهم بمساعدة اجهزته الحكومية الى مكان آخر وتعاد الكرة في منطقة سكانهم الاخرى ولايزال حالهم هكذا، فكان الحل الذي اتخذ في العراق هو الهجوم على منازلهم وتهديمها وتهجيرهم وجعلهم بدون مأوى وملبس ومأكل ومطالبتهم القيام بتغيير سلوكيات حياتهم، بدل الاهتمام بهم وترميم منازلهم وتخصيص رواتب تضمن معيشتهم وأبنائهم وتحسين حياتهم التعليمية والصحية، ثم محاسبة المسيء منهم وإجباره على تغيير نمط عاداته، يقال(إن اديسون مكتشف الكهرباء اجرى عشرة آلاف تجربة على بطارية كلها خطأ فواصل حتى نجح) فالمرء دائماً بحاجة الى من يرشده في هذه الحياة فعالم الدين يرشده الى الشرائع السماوية التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية في مقدمتها يرشده الى الحلال والحرام، اما من جانب آخر فهو بحاجة الى مثقف او مختص يرشده الى الطريقة المثلى والعيش بسلام في المجتمع وكيف يستفيد من مواهبه وقدراته وكيف يواجه الصعاب والمشاكل حتى يتغلب عليها، يقول ارسطو(لا ينبغي أن تستعمل سيفك فيمن تكتفي منه بالحبس، ولا تسرع

بالحبس فيمن تكتفي منه بالجفاء والوعيد، فإنه بحسب اخلاق المذنبين وتفاوتها يجب أن تكون العقوبة وإن استوت الذنوب) وهنا نستطيع القول ان الابادة الجماعية التي قام بها القائد النازي هتلر للغجر في المانيا هي تعتبر موت رحيم مقارنة بما يعيشه الكاولية في العراق، فهم اناس لا تعرف بلادهم عنهم شيئاً بل تعتبرهم عبئاً عليها، أما هم فأحدهم يذوب شوقاً ويحترق لهفة الى هذه الحياة الوداعة التي لا يمكن ان تتحقق له، إلا إذا مكناه من الاستيطان في بقعة أرض يعيش فيها بسلام حينها سنؤدي خدمة انسانية رائعة المآثر جليلة الفوائد لكوننا سنحكم على فئة من الشعب بالراحة بعد العناء ونعيد للنفوس المعذبة طمأنينتها في مستقرات الأرض التي باركها الله في كتبه المنزلة، وقد يقول قائل انهم معتادون على ذلك فهذا يعتبر منطق غير حصيف افيرضى ان يعيش معيشتهم، أم انهم خلقوا من الحديد وليس من اللحم والدم يشكون ويتألمون فبالإمكان مساعدة الطبيعة على اداء واجبها لتوقظ فيهم الاحساس وتكسبهم مواطنين اصحاء بدلاً ان تهملهم في الأرض ضائعين فإن

البيئة التي كان يعيش فيها الغجري وتحيط به هي التي فرضت عليه تقاليده وعاداته حتى تأصلت فيه تلك العادات، فإذا جعلنا لهم بيئة اخرى جديدة تختلف عن البيئة التي اعتادوا عليها اساسها الاستقرار لأمكنا ان نبدل تلك العادات غير المستحبة، فليس هناك داع لليأس وليس هنالك حق لمن يدعي بأن عادات الغجري غير قابلة للتغيير.

الكاولية ومفردها كاولي وهو ما يطلق عليهم في العراق هم مجموعة سكانية عراقية تنتمي الى مجموعة الشعوب الغجرية التي تعود بجذورها الى شبه الجزيرة الهندية ودلتا السند[١] وملامحهم الشكلية بالأصل هندية لكن نتيجة اختلاطهم بالإيرانيين والعراقيين والشاميين والاتراك والاوربيين تغيرت اشكالهم بعض الشيء[٢] ويشكل غجر العراق سواء كانوا الكاولية في جنوبه او القرج في شماله اقلية عرقية يقدر عدد الكاولية بحدود ١٢٠ الف شخص حتى مطلع التسعينيات وفي عام ٢٠٠٥م يقدر عددهم بحدود خمسين الف شخص.

١- الدكتور حميد الهاشمي: مصدر سابق، ص١٥٦.

٢- الدكتور مصطفى جواد: مصدر سابق، ص٣١.

تضاربت تسمية الكاولية غجر العراق الذين سكنوا مناطقه الجنوبية ومؤكد انها كلمة لها مدلولات عدة منها:

•- ذكر ان كلمة كاولي تتكون من مقطعين الأول (كاو) ويعني ولد والآخر (لي) ويعني بنت وقد تزوجا وانجبا شعب الكاولية[١].

•- ذكر ايضا عن اصل اسم الكاولية فهناك فرضية للباحث العراقي في علم الاجتماع الدكتور حميد الهاشمي طرحها في كتابه (تكييف الغجر: دراسة انثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق) في اصل التسمية ومفادها ان تسميتهم هذه تنطبق على قبائل هندية كانت بعض نسائهم تمارس الجنس والرقص كخدمة دينية لرجال الدين او بالآجر لآخرين ومنهن كن في معبد الملك (كاول) فانتسبوا إليه تشرفاً وتعظيما لأنفسهم، وفئة الكاولية محرومون في العراق ومحتقرون اجتماعياً ولا يقبل أحد بعاداتهم. هذه كانت مجرد نظرية.

•- يذكر ان كلمة كاولي تعني باللغة العراقية القديمة اصدقاء لأنهم يقومون بدور مسالم وحميمي ولم تظهر منهم العداوة والبغضاء.

١- آرثر كريستن: مصدر سابق، ص١٠١.

•- غجري هي كلمة عراقية قديمة عربها العرب وحولوها من كركري الى غجري والكركري تعني أبو الحليب لأن كلمة كركر تلفظ بالكاف العراقية تعني الحليب، وكركري هو الذي يعيش على الحليب لكون هؤلاء الناس كان غذاؤهم الرئيسي يخرج من منتجاتهم الحيوانية وخاصةً الحليب.

•- يقال ايضاً انها كلمة لقد حرفها الفرس من كالبه الى كاولية.

•- وبعظهم يرجح ان تسمية الكاولية مرتبطة بمدينة (كابل) بسبب انحدارهم منها وتغيرت بمرور الوقت الى كاولية[١].

•- اما الأب(انستاس الكرملي) فقد اطلق على الغجر في العراق ثلاثة اسماء(الكاولية - الكولية - الكول) والواحد منها كاولي او كولي، إلا إنه يرجح كلمة الكول نسبة الى طائفة من الاشرار الكفار كانت تقيم في ناحية مولتان بالهند[٢].

•- اما(جون مالكولم) فيعتقد ان اسم كاولي، يدل على مزاولة مهنة الموسيقى وعدم المبالات.

١- ثامر العامري: مصدر سابق، ص٢٦١.

٢- الدكتور طه حمادي الحديثي، الغجر والقرج في العراق، ص١٧.

•- اما البعض الآخر يقول ان سبب تسمية الكاولية لم يعثر الى الآن على تفسير علمي وحقيقي لهذه اللفظة.

•- يتميز غجر العراق بالبشرة السمراء الداكنة والحنطية اضافة الى الشعر الأسود المسترسل والعيون السوداء والقامة المتوسطة حيث يتعذر تميزهم عن باقي افراد المجتمع إلا من خلال المعرفة الشخصية، ومع ذلك يوجد بينهم افراد، شقر الشعر، زرق العيون بيض البشرة او زرق العيون وسمر البشرة، ولعل هذا التنوع بسبب اختلاطهم بالمجتمع نتيجة التزاوج مع طوائف اخرى او ربما نجم ذلك عن اختطافهم للأطفال الذين اتهموا بسرقتهم في الماضي او نتيجة الطفرات الوراثية التي لا تخلوا من أثر ذلك[١].

في تعداد العراق لعام ١٩٥٧م لم يعترف بالغجر كطيف اجتماعي ولم يمنحوا الجنسية العراقية إلا في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي فاصبحوا ينتسبون الى المدينة التي يولدون فيها او قربها دون الاشارة الى اصولهم الغجرية ومضى اكثر من أربعة عقودعلى

١- الدكتور طه حمادي الحديثي، مصدر سابق، ص١٣.

اصدار بطاقات النفوس لهم، لكن الى الآن الكثير منهم بدون اوراق ثبوتية رسمية والسبب يكمن في دوائر النفوس بعدم التعاطي معهم ومعاملتهم بشكل غير لائق.

ومن صفات الغجر بشكل عام بما فيهم الكاولية فلنسائهم معرفة بالأعشاب المفيدة طبياً وطريقة صناعة ادويتها، ولها في الأسرة مكان مرموق يعادل مقام الرجال ويفوقه احياناً، لذلك ان مهمة الكسب تقع في اغلب الجماعات الغجرية على عواتق النساء واولادهن، أما الزوج غالباً ما يكون بينهم رضائي، وفي حالة وجود خرق فهناك عقاب صارم.

رغم انه ليس بيد أحد من البشر ان يختار نسبه ورغم انهم اعتنقوا الدين الإسلامي لكن تعرض الكاولية لهجمات متتالية على مر التاريخ بسبب بعض الاحكام المسبقة وحاقت بهم اللعنة ولا سيما قبل العصر الحاضر، فأينما حلوا تتبذهم الجماهير وتجور عليهم الحكومات والقوانين وتعاديهم المؤسسات بما فيها الدينية والنقابية ويلاحقهم الاضطهاد والطرد والنفي ومنذ ذلك الحين تركوا الاستقرار

وناءوا عن الانتماء الى أية جنسية، ويعد تأريخهم حافل بالمآسي والنكبات وهبات القسوة المجنونة وبعض الاتهامات الطائشة الظالمة التي تعصف بهم بين الحين والآخر وكان طبيعياً في مثل هذا الواقع المر المتواصل تاريخياً ان تظهر فيهم بعض السلوكيات، اما بدافع الحاجة او نتيجة ردة الفعل النفسي المكبوت وهي ممارسات منحرفة ونشاطات اجرامية كالاحتيال والسرقة ولكنهم قلما يرتكبون القتل اويلجؤون الى العنف وربما كانت السرقة صادرة من ضرورات العيش فقامت الحكومة آنذاك وهي تعرف ان الكاولية ليس لديهم أي غرض او اطماع في السياسة واغلبهم اناس ديدنهم في الأنس والطرب فأستغلهم النظام واعطائهم مساحة كبيرة من الحرية ورفدهم وفسح لهم المجال وحول الكثير من نسائهم الى جليسات الليل، لكي ينشغل الناس بهم ويبتعدون عن السياسة وهذا جل ما تصبوا إليه الانظمة وفعلا تحقق ذلك، مع ان نسائهم بشكل عام قبل هذا لم تكن كذلك بهذا الوضع المريب، فكانت مجموعات الغجر الكاولية تحط رحالها قرب القرى والعشائر وعادة ما تكون في حماية شيخ

العشيرة ويطلق البعض عليهم اسم (الطاووس) فلو كانت نسائهم بهذا الفجور لما قبلهم لا الناس ولا سمح شيخ العشيرة لهم بالسكن قرب عشيرته، بل كان وجودهم قربها مقتصراً على التجارة وتبادل البضائع معها من خلال شراء السلاسل والاسلحة الحديدية من سيوف وخناجر وشراء الاواني النحاسية وتصليح البنادق وان نسائهم تعمل في غطاء الأسنان التالفة بالذهبية والفضية وعمل الوشم وقرأت البخت فضلاً عن قيامهم بإحياء حفلات الاعراس والمناسبات بما لهم من اطوار خاصة بالغناء والرقص.

لقد ظهرت في العقود الاخيرة اصوات انسانية تنادي بمعاملة الغجر (الكاولية) معاملة انسانية كريمة وتدعوا الى تكامل مجتمعاتهم مع المجتمعات القومية الكبيرة حيث يعيشون وتيسير اندماجهم فيها.

الكاولية في العراق كانوا كغيرهم من الغجر لا يميلون الى الاستقرار في مكان معين وهذا الطابع الذي تتصف به حياتهم وتتحكم الظروف الجغرافية والاوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة بنمط حياتهم واماكن نزولهم، فالكاولية في العراق كانوا مترحلين حتى اوائل السبعينات من القرن الماضي وقد منحوا الجنسية العراقية في

آخرها وهذه تعتبر فترة ازدهار ورخاء لهم حيث تم بناء مجمعات سكنية لهم في اماكن متعددة من البلاد، وكانت مساكنهم غالبا ما تكون بعيدة عن الاحياء السكنية ويقصدونها أهل المدن للمتعة والتسلية وكان حينها عدد شعب الكاولية ما يقارب ١٢٠الف نسمة موزعين في محافظات العراق وكثيراً ما سقطت العديد من نسائهم ضحايا لسماسرة الاتجار بالبشر فإن ما يعيشه الكاولية في غياب المنظومة القانونية في البلاد التي لم تتمكن من احتوائهم وحمايتهم رغم ان الدستور العراقي يكفل بأكثر من(٣٨) مادة حرية المواطن وممارسة شعائره وطقوسه، فكان من الواجب الاهتمام بهم وتعديل مسار حياتهم ومحاولة الرجوع بهم الى طريق الصواب، لكن بقي الغجر مهملين ويتعرضون لهجمات منظمة بدعوة نشر الفضيلة مما اضطرهم الى الاختباء في المدن الكبيرة جاهدين بإخفاء هويتهم الحقيقية او الهجرة الى خارج البلاد.

استوطن الكاولية العراق وحطوا رحالهم بأطراف المدن في مناطق معزولة وامتهنوا حتى منتصف القرن الماضي الحدادة وصناعة الاسلحة والخناجر وبعض المهن البدائية كصناعة الاسنان الذهبية والفضية وصناعة القدور النحاسية وتعتبر صناعة الاسنان من بين

اشهر المهن التي اقترنت بهم فكانت تتجول الغجريات في ازقة المدن والارياف للراغبين في تغطية اسنانهم التالفة بذهبية او فضية كما عرف عن نساء الغجر ممارستهن مهنة الوشم وقراءة الطالع لنساء المدينة والريف وتنوعت هذه القراءة ما بين قراءة الكف وقراءة الفنجان اورمي الاعواد على قطعة قماش اوالحصى وهناك اختلاف كبير ما بين فئة الغجر وفئة ما يسمون بـ(الصلبة)[١].

١- الصلبة، هي قبيلة بدوية يتميز أبنائها عن سواهم من القبائل الاخرى بامتلاء الوجه ووفرة الشعر، وعلو الجبهة ونصاعة وبياض الأسنان، ورقة الشفتين ونحافة الخصر ورشاقة القدم، كما أن لهجتهم تتميز بالرقة والرخاوة على عكس الآخرين الذين يتميزون بالغلاظة والصوت العالي الجهوري، علما إنهم لا يهتمون ولا يحفظون انسابهم، ويمارسون اعمال وضيعة يأنف منها الآخرين، فهم لا يقتنون الخيل لأنهم لا يعرفون الكر والفر، أما ركائبهم فهي الحمير ويتاجرون فيها وكذلك يتاجرون بالملح والأعشاب الطبية، ولهم خبرة بالصيد ولا يحملون السلاح إلا لاستعماله في الصيد، وهم لا يغزون ولا يتعرضون للغزو، ومن ميزاتهم الوداعة والجنوح للسلم، أما المرأة عندهم لا تجبر على الزواج بل يؤخذ رأيها، وأن رجالهم يراقصون النساء ويقبلونهن امام الغير دون توجل، ويكون رقصهم مع النساء بشكل دائري واحدهم يمسك يد الاخرى، اشتهروا بالصناعات اليدوية وإنهم يمتازون بخبرتهم ومهارتهم بطرق وخفايا الصحراء وهم ادلاء محترفون في غياهبها، وهم عرب مسلمون ومذهبهم كل حسب البيئة والمنطقة التي يعيشون فيها، وهم يدفعون الزكاة ويحجون الى بيت الله الحرام، وفي خصائص حياتهم فهم يختلفون عن البدو الآخرين وعن الكاولية.

يأخذ جميع الغجر بما فيهم الكاولية لغتهم ولهجتهم من الوسط الذي عاشوا فيه محتفظين بلغتهم الخاصة التي ظلت مجهولة للغير لا يمكن ان تجدها في القواميس وليس لها حروف هجاء، فهي لغة خاصة جداً والى الآن لم تتم ترجمتها رسمياً فهي خليط من الفارسية والهندية والتركية والكردية والعربية ويطلقون عليها اسم الرطين ومن بعض كلماتها ونصوصها التي تم الحصول عليها مثلا:

بيل ها	تعني النقود او هذا الشخص عنده نقود
طمالي	تعني الشرطي
ايربي إجه	تعني الزبون
خور دني	تعني الشراب
كيمد	تعني روح
كيمدي	تعني يابنت روحي
ابسركو	تعني طفلة
تويد	تعني اجلس
بسيار	تعني اسكت
طمل ها	تعني اهربوا من الحكومة او الشرطة
أرب ها	تعني زبائن

نصوص من لغة الكاولية

كومدت خاهرتي للدهكو واستونيد من الدهكو خونهنا كوشبدتها وبياز وسال وسرخ وروغن وخربيز ونونها ودوب وسبيد وسهه ، وسكاريد بالخوناً الجاس وكان في خوناً بوي هارف بين المونسها لحل الجانكية بين التيلوها . ولم نكومد الى الرستيها وآسيد بوى وخدكم خاهرها . ويكي بوسد يكي .

وخاهري استونيد دنكو من خاهر بوي وسكاريد الكاغزية تيني التكزوز ، وبعد مهين آوريد ابسركو دنوه من خده ونومه وضاح . ومخورد من ديسن مادره شيرها . واذا نجاغن مبريدة للدهكو للدكتور بالكشتية بوه ، لان خاهري تيه كشتية مكيميد نجده بالدهكو ميارد بيلها لدنوه وبرها ، واذا نيستن بيلها عند بوه او عند خاهرها منهم بيلها لانهم نيستن تيهم شبازيات .

وأنا اخوسد نيم الشو وآتويد السبكهي ومخورد زركي نونها وبنير ، ومخورد الظهر تيني وكهم ومخورد في الشو موهي وهنا ، وخدى ماجبد الكاغزيه ولا اللورى ، وخدى مخاد السينما والتلفزيون . ومخاد أواز الخوبن لام كلثوم .

دادره رستيها الكبها ، خدهانا وآسيد بخدها ، خدهانا مخاد آوها ، ومخاد تشها ، ومخاد خوناً مالها طوملها متارسد من الجانكيه ، ومجد عربها بكتندها ، وخدهانا تيلوها نيستن هارف بدسهانا ، وسكاريد هارف همشنا مخاد كشتية . مالها آوها نيستن تينا آوها .

خدهانا همشنا كوهمي خونها ، دس وستا خونها خوبن ، وجارتا دسهاخونها نخوبن ، وخونا الكبوتيه ستاخونا كوكجها ، وتيهم ديتا شوبازيات . وبسرهاهم بسيار .

وجيدنا عربي بسكار جاي خوبن ، خدا مدّنا بيلها بسيار بسكارله بازدين خوبن خدا . يهورف على خدهانا ، وخدهاكم لمسكارده كاكليه ورتب بسيارك بيارلة دورى وبستون بيلها من خده .

خدى مستوند الكشتيه سبكه للدهكوميارد السيهنّة الجاس وسبكه يكومدون المونسها والدنكو ميارد جاس السيهاهم . وموجد وياخدى .

وتيدوها مخاد الاسبها ومسكاريد على خدها هن ومبازد هن بيلها بسيار . وهمش بيلهانا نكومد مانهورف على خدهن ، وخدهانا تيدوها اذا دادنا الطملها آوها وتشها مستوندنا خدهانا مانهورف.احنا التيدوها همشنا نكومد طملها وخدهانا مونسها خوبين .

مانسكو من خدهانا اذا كومد خدا هو ودنكوه مدود خوبن ونيستن هارف خدهاهم مستوند جومنها . ومكيمد الدنكو للشورد الساكريها والمانسكو ميارد جاس للسيهلة وديتاهم موجد بالكشتية .

«خدا سكاريدها وكريفيت دله » «سكاريد جانكيه وكرزد » « خدها خوزدين وخدا سكاريدين دسه على ساكريها وماتارسيد من خدى . وخدى وازدين » » .

تعريبها :

ذهبت اختي الى السوق واشترت لبيتنا لحماً وبصلا ورزاً وطماطا وسمنا ورقيا وخبزاً وقهوة وسكراً وشايا . وهيأوا الطعام في البيت ، وكانت آنذاك في دار والدي ندوة بين الرجال لحل المشاجرة بين الكاولية . حيث لم يذهبوا الى الشرطة ، ووقف بها والدي ، وقال لهم انتم اخوة . وما كان منهم الا ان قبل احدهم الآخر .

وأخذ أخي امرأة ، وهي ابنة عمه ، وعقد القرآن عند السيد ، وبعد سنتين ولدت طفلا ، واسمته وضاحاً ، وارضعته الحليب من ثديها ، واذا تمرض يأخذه الاب الى الطبيب في المدينة بسيارته ، لان اخي يملك سيارة يذهب بها الى المدينة ويكسب بها نقوداً ليقدمها الى زوجته واطفاله . واذا احتاج والده واخواته نقوداً اعطاهم منها ، لعدم وجود الراقصات عندهم

وانا انام في نصف الليل ، وانهض صباحاً ، واكل قليلا من الخبز والجبن وفي الظهر آكل الدجاج والبرغل ، وفي الليل آكل السمك والرمان .

وأنا لا أدخن السكاير ولاأشرب المشروبات ،و انا احب السينما واحب صوت ام كلثوم الجيد .

اعطتنا الحكومة ارضاً سكنا فيها ، ونحن بحاجة الى الماء ، والكهرباء ودور السكن ، ومركزاً للشرطة ، لاننا نخاف من وقوع المشاجرة ، ويقصدنا الزبائن من العرب غير الجيدين ، ونحن الكاولية لانتكلم بشيء ولا نعتدي عليهم ، اذا لم يصدر منهم كلاماً بذيئاً ، ونطالب جميعاً بسيارة لنقل الماء لنا لعدم وجوده في مستوطنتنا التي تقارب من مائة بيت ، منها ثمانون بيتاً بحالة جيدة ، والعشرون منها خيام ، اما بيت الشيخ فيحتوي على ثلاث غرف ، وثلاث خيم ، وبحوزته راقصتان وله اطفال كثيرون.

وفيما اذا جاءنا زبون عربي نعمل له الشاي الجيد مقابل نقود كثيرة، ونقيم له حفلا راقصاً ، ونراه احياناً يتكلم علينا ، ولا يريد منا ان نضحك . وبعد انتهاء الرقص يقدم احدنا المشروب للزبون ، ويستلم النقود منه .

وأخذت السيارةالبارحة الى المدينة ، وجلبت لاهلي الطعام وغدا سيذهب الكاولية رجالا ونساء لجلب الطعام لاهلهم .

والكاولية تحب الخيل ، وتحصل من ركضها في حلة السباق نقوداً كثيرة . وكل مالنا نفقة ، ولا نبالي بذلك ، ونحن الكاولية ، اذا اعطتنا الحكومة الماء والكهرباء ، وطلبت منا اداء اي عمل فسوف نستجيب لذلك لاننا اناس طيبون .

والكاولي يذهب مع زوجته للسوق دون ضجيج لشراء الملابس و الاطعمة.

وتدخل المرأة الحمام في المدينة للاستحمام ، ثم يعودا بالسيارة الى مسكنهما .

«قام بعمل مشين ويده على قلبه » «فعل عملا قبيحاً ولاذ بالفرار»

«لامس وجهها وهي نائمة متحدياً لي وأنا واقف »

اما معزوفات واغاني الغجر لا يمكن معرفة مؤلفها وملحنها فإنها تغذت من بيئات ريفية متنوعة نتيجة الأسفار والترحال والتجوال الملازمة لطبيعة حياتهم[١] وهي في جميع الاحوال اتصفت بالعفوية والبساطة، وهما الصفتان الغالبتان على طابعهما لكونها ظهرت استجابة لأغراض اجتماعية وتعبر عن الواقع الذي نشأوا وعاشوا فيه فضلا عن توفر عنصري الاستماع والتطريب، وعلى الرغم من هذا التفرد والخصوصية[٢] إلا ان الغجر يتناغمون بل يذهبون الى اداء بعض اغاني وبستات المناطق التي يؤدون فيها نشاطاتهم والتي تنسجم وطبيعة اصواتهم وامكانية اداء آلاتهم الموسيقية فتراهم يرقصون ويغنون الهجع واطوار الأبوذيه عندما يقيمون نشاطاً في المناطق الجنوبية ويغنون المحمداوي في القرى القريبة من الاهوار ويرقصون ويغنون النايل والسويحلي عندما يذهبون الى غرب العراق وجميع اغانيهم تعكس اجواء التجوال الذي لا ينتهي والحيرة في مواجهة عالم غريب ومواساة للغربة وجراحات تغنى بالأساطير

١- الدكتور محمد عمران: موسيقى الغجر المصريين، ص٦٥.

٢- الدكتور نبيل صبحي حنا، مصدر سابق، ص٦٨.

والحكايات مع حزن عميق وهرب متواصل ليس له حدود وعلى الرغم ان المجتمع العراقي ينظر لفئة الغجر بعين الغمز فإن الكثير منه لا يستطيع ان يتخلى عن دورهم لكون استطاع الفن الغجري ان يكسب اهتمام خاص واقترن فنهم بمواويل العشق والحزن وكأنهم يبكون دائما على مفقود او يبحثون عن حبيب او وطن ضائع.

يمتاز الغجر بشكل عام والكاولية خاصة بمدى تعلقهم وارتباطهم بأفراد الأسرة والاقارب وهم يسعدون بإنجاب الفتيات لاعتقادهم انها سبب وجودهم وتكاثرهم لذا يعتبرون المرأة العنصر الاساسي في العائلة وتعتمد اغلب أسرهم عليها مادياً، لذلك تجدها تمارس اعمالاً مختلفة تصل حتى الى المعاملات التجارية البسيطة[١].

ومن عادات الغجر إنهم يعشقون الحكايات ذات النهايات السعيدة بل ربما هم اكثر من بقية المجتمعات، فلا وجود لشعب مثلهم له رغبة في الحرية التي افتقدها دائما ولا يوجد هناك انسان مثلهم يحلم ببحار بعيدة واميرات رائعات وممالك مسحورة.

١- الدكتور محمد عمران: مصدر سابق، ص٦٧.

عادات الكاولية وتقاليدهم

لكل شعب او فئة من المجتمع عادات وتقاليد تختلف عن غيرها وعندما بحثنا في عادات وتقاليد الكاولية بالعراق لم نجد للعادات التي ذكرت عن الغجر في اوروبا لها تطابق معهم وحتى مع الغجر الذين استوطنوا الدول العربية وما يهمنا هنا هو العراق والواضح ان الغجر بشكل عام يأخذون عادات وتقاليد المنطقة التي يسكنوها، وهذه العادات تنتقل من جيل لآخر او حسب ما يقال من الأم الى ابنتها، ولا يمكن معرفة شيء عنه سوى ما يقبل الغجر الافصاح عنه، وخلال الدراسة الميدانية عن عادات الكاولية لم نجد ما هو غريب او خيالي حسب ما يذكره اغلب الباحثين والمختصين بعلم الغجريات، ومن أبرز ما تم الحصول عليه:

- يتكلم الكاولية اللهجة الجلفية للجنوب العراقي.

- لا يجوز للكاولي ان يراودالكاولية من بنات مجموعته عن نفسها وإذا فعل ذلك يدفع فصل أي مبلغ من المال يفرض عليه من قبل أهل الطرفين بالتراضي.

- لا يوجد اختلاف في عادات الكاولية في مراسيم الوفاة والدفن عن المحيط الذي يعيشون فيه واتباعهم التقاليد الإسلامية بذلك.
- تحافظ البنت الكاولية على عذريتها حتى موعد الزواج وعادة ما يكون في سن مبكر، ويهتم الكاولية كثيراً بقطعة قماش ليلة الزفاف وواجب اعلانها وبخلاف ذلك يحشم اهل البنت اربع مرات ما دفعه العريس من تكاليف زواجه.
- لا تحدث في العادة زواجات بين الغجر وبين الغرباء إلا ما ندر
- يفضل الكاولية زواج الاقارب ويبدؤون بأبن العم ثم ابن الخال ثم أبناء المهنة الواحدة ثم بقية العشيرة.
- إن الفتاة عند بعض أسر الغجر تعتبر وسيلة أثراء من خلال بيعها بمبلغ يصل احياناً الى خمسين مليون دينار.
- خلال مراسيم ليلة الزفاف عند الكاولية توشم العروس بالحناء ويرقصون الجوبي ويضعون صينية فيها كمية من الرز تدوس عليها العروس بقدمها قبل دخولها منزل العريس، واغلب هذه العادات نجدها في العديد من طوائف المجتمع الهندي.

•- المرأة الغجرية في حالة وفاة ما يسمى بـ(زوج صباها) لا تتزوج بعده اطلاقاً ولا تأتي بالفاحشة طيلة حياتها، وهذه الصفة وجدت في نساء بطوائف عديدة من المجتمع الهندي.

•- من حالات الزواج عند الكاولية التي بدأت تنقرض حديثاً، كان عندما يتقدم الشاب لخطبة الفتاة التي يروم الزواج بها وهي ايضاً ترغب الزواج به، وفي حالة عدم موافقة اهلها في المرة الأولى يكرر خطبتها خمسة مرات وفي حالة رفضه يذهب الشاب الى كبيرة أحدى عوائل الكاولية ويقوم بربط جزء من خمارها ويطلب منها ان تزوجه بالفتاة فتقوم المرأة الكبيرة بالذهاب الى أهل الفتاة وتطلب تزويجهما وهي تكون مسؤولة عن الشاب ويعتبر بمثابة ولدا لها وتتحمل مسؤولية ما يصدر منه مستقبلاً من اساءة او معاناة للفتاة واذا لم يوافق أهل الفتاة بطلبها تقوم المرأة الكبيرة بتهجيرهم من المنطقة لما تمتلك من قوة نفوذ.

•- لاتزال الى الآن اغلب نساء الكاولية الكبيرات في السن تقرأ الطالع ويؤمنن به، وهن مفسرات ماهرات للأحلام.

•- الطلاق عند الكاولية فيما بينهم قليل اما مع باقي الطوائف كثير

•- عندما يولد طفل عند الكاولية يقومون بتعديل عدد من اجزاء جسمه وهي لاتزال رخوة وقابلة للتغيير مثل دائرة الرأس والأنف والفم وغيرها.

•- هدف الكاولية ممن يمتهنون الطرب والرقص هولغرض المكسب يرافقه الترفيه والابتزاز وسحب المال من الزبون القادم لطلب هذه المتعة[١].

•- النساء الغجريات التي تمارس بيع الهوى:

- الكثير من النساء المطلقات عند الكاولية تمارس بيع الهوى.

- المرأة المتزوجة نادراً ما تأتي بالفاحشة وبنسبة محدودة.

- هناك نساء من طوائف اخرى، من عوائل منحطة في المجتمع تذهب عندهم وتمارس الفاحشة باسمهم.

•- في السابق اغلب الكاولية لا يحبذون زواج بناتهم من رجال اغراب مع انهم يعلمون جيداً ان الأغراب اعلى مرتبة منهم بسبب

١- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٣٥٣.

اعتقادهم ان الغريب يترك ابنتهم بمجرد اشباع غريزته منها، وليس عليه قيود على عكس زواجها برجل من فئتها يقدر مكانتها، اما في الوقت الحاضر اصبحت تتفاخر البنت الكاولية بالزواج من رجل غريب والسبب انها تشعر معه بالحماية والامان ويصونها ويحافظ عليها، وهي تعتبره اعلى مرتبة من رجال فئتها، على عكس الرجل الكاولي الذي في اغلب الاحيان يبحث عن مكسب مادي منها.

•- بما ان المرأة الكاولية تحمل صفات ومزايا لا تملكها النساء من طوائف اخرى فهي توصف بانها جميلة ولطيفة ومرحة وودودة وممتعة واكثر ما تمتاز به جمال شعرها وقوامها وعينيها وحاجبيها وغالباً ما تكون بشرتها سمراء، فهناك العديد من الناس وبعض شخصيات المجتمع قد تزوجوا من نساء الكاولية واستحوذوا عليهن منهم من انجب منها الأبناء ومنهم لم ينجب، وسنتناول هذا الزواج من الجانبين العرفي والشرعي:

الجانب العرفي:عادة ما يكون المجتمع بشكل عام قاسي في أعرافه السائدة ومن الصعب جداً تغييرها، فإن اختلاف المنظومة القيمية

والأخلاقية الكبيرة بين من تربى في العشائر التي لها تاريخ طويل بالتزمت الأخلاقي في العادات القبلية، فلا يتقبل المجتمع فكرة الزواج بـ(الكاولية) ويعتبرها حالة شاذة ومرفوضة ولها تبعات عرفية كثيرة وان المتزوجين من نساء هذه الفئة يضرب بهم المثل وخاصة من انجبوا منهن وعادة يكون المثل المقصود به للإساءة.

الجانب الشرعي:بعد الاستفسار من ذوي الاختصاص، يجوز الزواج بـ(الكاولية) شريطة ان تعلن توبتها وتترك مهنة بيع الهوى وتصبح امرأة عادية، أما بخلاف ذلك فلا يجوز ويصبح الزواج باطلاً.

•- في وقت سابق هناك العديد من أسر الكاولية تركت عشائرها الغجرية وانخرطت في المجتمع العشائري العربي، وبالإمكان تحديد هذه الأسر من خلال عاملين اساسيين هما:

أولاً- لايزال هؤلاء يعدون بأسرة حتى وان ازدادت اعدادهم مؤخراً وليس لهم أبناء عمومة يتواصلون معهم ما بعد الجد الثالث او الرابع للأبناء الحاليين على عكس اسرنا، مثلاً هناك بعد الأسرة فخذ وأبناء عمومتهم ايضاً فخذ ثم آخر وآخر حتى ينتهي الجميع بعشيرة

مترابطة في النسب، فالأسرة الغجرية التي نقصدها بقت ضمن نطاق نفسها الضيق مع انها تدعي زوراً من عشيرة كذا او كذا والحقيقة انها كانت تجاوروها بالسكن في السابق ومع ذلك لم يلاحظ عشيرة كذا او كذا، لها علاقة بهذه الأسرة او تتواصل معها.

ثانياً- لاتزال هذه الأسر التي انخرطت في مجتمعنا العربي تحمل سلوكيات وعادات وتقاليد اصولها السيئة، والغريب في الأمر انها فاقت تلك السلوكيات ولم تستطع الخلاص منها وبقيت هذه الأسر يتميز أبنائها بالنصب والاحتيال ومتحررة من القيم ويمارس أفرادها الفاحشة فيما بينهم بشكل علني وعدم الالتفات الى المحظور مما نتج عن ذلك انخراط العديد من بناتهم في اماكن الفجور.

•- ومن الصفات الغريبة التي وجدت في شعب الكاولية انهم يعرفون بعضهم بعضاً مع كثرة اعدادهم.

•- يقال ان عشق الغجرية للرجل الذي تقع في غرامه يكون شديد وصعب ويضرب به المثل وتعتبره مُلكاً لها وغيرتها عليه تصل بها الى حد الانتحار ومن عادات الغجريات ايضاً في من تعشق فإنها

تعمل المستحيل لكي تتجب منه، اما عشق الرجل للفتاة الغجرية لا يختلف كثيراً عن عشقها له وفي اغلب الاحيان من الصعب عليه تركها، لما تمتاز بخصوصية معه وساعاته التي يقضيها برفقتها توصف انها ضرب من الخيال.

•- لاتزال الى الآن عادة السرقة والنصب والاحتيال واردة عند الكاولية حتى بين صفوفهم.

•- لايزال الى الآن الكثير من فئة الكاولية بدون هويات ثبوتية رسمية بسبب الانجاب غير الشرعي عندهم ومن جانب آخر عدم تعاون دوائر النفوس معهم ومعاملتهم بشكل غير لائق.

•- اغلب الكاولية مساكنهم بسيطة جداً وعادة ما تكون الاغراض في منازلهم قليلة بسبب التهجير او التنقل المتكرر من مكان لآخر ووجد بعظهم يقسم اغراضه المنزلية الى اكثر من مكان سكني وغالباً ما تكون هذه المنازل في مناطق العشوائيات ليضمن في حالة حصول حدث ما، لا يفقد جميع اغراضه.

القرج

يطلق على الغجر في شمال العراق تسمية القرج، وقد تضاربت آراء الباحثين في اصل تسميتهم ومدلولها اللغوي والاجتماعي:

- يرى (بنيامين) ان (قرجي) اسم مشتق من الكلمة التركية (قره) بمعنى(اسود) كما التسمية الفرنسية للغجر بـ(التسيغان) نسبة الى اللون الاسود المميز لخيمهم[١].

- ورد في معجم تركي أن كلمة(قره جي) مرادفة لغجري او (جنكاني) او(قبطي) وتعني(عديم الأخلاق والحياء) وهم قوم عبدة الاصنام نشأوا في الهند ثم انتشر قسم منهم في ايران والعراق ومصر والشام، ومنها تفرقوا الى بلاد الفرنجة والاندلس مزاولين فيها حياة البداوة [٢].

- وقد ورد ايضاً ان كلمة(قره جي) مشتقة من(قراجي) بمعنى (اللص وقاطع الطريق)[٣].

١- طه حمادي الحديثي، الغجر والقرج في العراق، ص١٨.

٢- محمد عمران، موسيقا الغجر، ص٣١.

٣- الدكتور نبيل صبحي حنا، مصدر سابق، ص٦٤.

•- وقيل ايضاً انها كلمة تركية الاصل وتعني (بيت الشعر) في اشارة الى ترحالهم الدائم وعيشهم في الخيم وبيوت الشعر لكنهم يحبذون تسميتهم بـ(هوستا) أي (المهني او المحترف) ويعرف القرج بممارستهم مهناً وحرفاً عديدة ابرزها الصناعات اليدوية كصناعة السلاسل والحدادة والأواني الخشبية وبعض الآلات الخشبية [١].

في عصر ما قبل عام ١٩١٧م كان القرج احراراً في التنقل والترحال وكانوا يتنقلون بين دول المنطقة والشرق الاوسط لأنه لم تكن توجد حدود تفصل بين الدول، وبعد اتفاقية سايكس بيكو وتشكيل مملكة العراق في العشرينيات من القرن الماضي بقي اغلب القرج بين حدود دول سوريا وتركيا والعراق[٢].

لا يختلف كثيراً وضع القرج في شمال العراق عن الكاولية في مدنه الاخرى ولا يخفى ان القرج عانى الأمرين أبان الحقبة الماضية من القرن السابق وكان الظلم عليهم أشد وطأة لكونهم يعانون معاناة الاقامة والاستقرار والامية والحرمان في تلقي المعونات كما الآخرين

١- الدكتور مصطفى جواد: مصدر سابق، ص١١.

٢- الدكتور طه حمادي الحديثي، مصدر سابق، ص٢١.

في العراق بشكل عام ومناطق شماله بشكل خاص وكانوا في اسفل درجات المجتمع لا يملكون أية حقوق وليست عليهم واجبات ومحرومون حتى من التملك إلا انه قد تغير حالهم نحو الافضل بعد عام ١٩٩١م فقد تغيرت النظرة من قبل المجتمع الشمالي الى القرج وبنيت لهم مراكز سكنية تشمل الصحة والتعليم الذي كان لهم بمثابة المحرمات واصبحت لديهم الآن نشاطات عديدة ابرزها اقامة مؤتمرات مصغرة لانتخاب الهيئة الادارية لهم وفتح دورات لتعليم أبنائهم الكمبيوتر واللغة الانكليزية وصاروا يدعونهم ان يحافظون على تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم خوفا عليها من الاندثار والانحلال نتيجة اختلاطهم بالمجتمع وقربهم من المدن واستقرارهم فيها الى حد ما والحفاظ على تماسك مجتمعهم وعدم الانخراط قدرالامكان، والى الآن اقاموا العديد من النشاطات ولديهم ارشيف صور يوثق ذلك ويهدف كل هذاالى تشجيع أبنائهم على التثقيف والتقدم لكي يصبحوا مثل جميع أبناء الاقليم، وهم اليوم يعيشون بكل حرية ومتساوين مع جميع مواطنين الاقليم.

وللقرج البالغ عددهم بحدود(٣٠,٠٠٠) شخص، هناك رواية ينفيها الكثير عن اصولهم، فيدعون انهم من احفاد (خاني موكري) مساعد الزعيم الكوردي المعروف(خاني لب زيرين) الذي حارب الشاه عباس الصفوي في ملحمة قلعة(دم دم) الشهيرة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وينفون انهم قد انحدروا من اصول الهند او السند او افغانستان او روسيا او دولة اخرى.

جميع فئات الغجر في العالم لديها لغات خاصة بها، اما عند العرب فهناك لغات متعددة منها تسمى لغة العصفورة واخرى الرطين وغيرها، كذلك القرج في شمال العراق لديهم لغتهم الخاصة مما جعلنا نبذل ما بوسعنا للحصول على جزء منها.

قەرەجی خانەقین

ماوەیێك پێش ئێستا مە لە خانەقین بووم لە دوایدا چووم بۆ توزخورماتوو
وە لە خانوویێکی قوڕیندا دانیشتم . وە دەستم کرد بە دروست کردنی قەفەسی
تەیروتواڵ وە دروست کردنی مەزهەرییە کە لە دارم دروست ئەکرد وە ئەوە
بوو بە پیشەم ، جگە لە ڕاوکردن کە ولە کزی پایز دەمامە وە لە سەرئەم پیشە
بۆ ماوەی پانزە ساڵ پاشان کۆچم کرد بۆ شاری تەئمیم وە ژیام لە نزیك
کەرماوی جەمهوری وە دەستم کرد بە بویەکردن قۆندەرە ،

بەڵام لەم ئێشەی دوواییم دا دەستم هەڵکرد وە کە ڕامەوە سەر پیشەی
کۆنەکەی خۆم کە دارتاشبووم ، ئەمە ئێستیم بە پارە هەیە وە چەند
کەرووێکم هەیە ، وبیرئەکەمەوە بۆئەم بچم بۆ شاری سولیمانی بو فروشتنی
کەروەکان بەڵام نازانم ئایا نرخەکەی بە شی ئەوە ئەکات کە نداری پێ
بکەم بۆئەوەی بێژینگی پێ دروست بکەم بەڵام ئافرەتەکان ئەچن
بۆ بازار بۆ فرۆشتنی بێژینگ وە کرینی کەلوپەلی خواردن .

تعريبها

كنت في خانقين منذ فترة ، ثم انتقلت إلى طوزخورماتو، سكنت في دار من الطين ، وقد زاولت عمل اقفاص الطيور ومذاري الخشب . فضلا عن صيد طيور القبج في فصل الخريف، وبقيت على هذه الحالة نحو ١٥سنة بعدها انتقلت إلى مدينة كركوك وسكنت جوار الحمام الجمهوري مزاولا صباغة الاحذية . ولكن انقطعت عن عملي الاخير. وعدت إلى حرفتي السابقة وهي النجارة .

اني بحاجة إلى النقود ، ويوجد لدي عدد من طيور القبج ، وافكر بالسفر إلى السليمانية لبيعها. ولكن لاأدري هل تكفي اثمانها من توفير مبلغ استطيع به شراء الخشب اللازم لصناعة الغرابيل .

اما النساء فيذهبن إلى اسواق المدينة لبيع الغرابيل ، وشراء المواد الغذائية.

قەرەج دهوکی

من وەختێکی درێژ ژیانا خو بەرەف گوڕیەری شبەکێ ھەمن قەرەجی
لایێ حاجی ماسیا لە بروارێ بالا ، وەختێ ئەز ژوێرێ شولا من پەنز
گوشتن بوو ھەروەسا شولا من کرالن زەحمەت بوو ولەبەر ھندێ !
ئەز ھاتمە لشارێ میسلێ لە محلەی عتشانە ، وئەڤە چارسالە ئەز
رێشینم لە عتشانە ، شولە من ڤێقێ فروتە لێ سیکا بازێرێ ، من
گەلەک بزوفینت ھەیێ ناڤ سەلا نفرانیدا لمیسل وەھەروەسا
مزوفێت من ێیت ھەین لە کومپانیا سەولاڤێ لایێ بێنێ .

تعريبها

لقد مضيت فترة طويلة من حياة الترحال «كوجر» كبقية الاسر القرجية في منطقة كاني ماسي «برواري بالا» وكنت ازاول صيد الحيوانات . الا الا ان صعوبة العيش قد اجبرتني على النزوح الى محلة العطشانة في مدينة الموصل منذ اربع سنوات واخذت ازاول بيع الخضراوات والفواكه في احدى الحوانيت بسوق المدينة .

ولدي اقارب يسكنون في محلة النعمانية في الموصل. وفي مجمع السولاق في بيخمة .

نصوص من لغة قرج الترك

Şimdi Erbil, Arab mahallesinde oturmaktayım. daha önce ve 1957 de Şihan'da oturuyorduk.

Çocuklarım dilencilik yapmakta ve günde 750 fils ··1Dinar arasında kazanmaktadırlar, bu para ile ekmek, şeker, çay v.s satın alırız.

İlk karım kaçırma usulu ile evlendim, ikinci karımı normal bir şekilde evlendim, ilk karımdan 9erkek, 4kızım var yani ailemiz 15 kişiden ibarettir.

KARAJ olduğumuz için hükümet bize nûfus cüzdanı vermedı ve bundan dolayı Çalışmaktan ve eğitimden mahrum olduk, bize nûfus cuzdanı verilirse askerlikte yaparız ve herşey, bize verilen bütün görevleri yapmağa hazırız.

Adana'da akrabalarımız var, ara sıra mektüplasırız, vatanım olan Irak'ı terk edip Türkiye'ye dönmek istemiyoruz.

تعريبها

اني اسكن الآن في محلة العرب في اربيل . وكنت قبل ذلك في الشيخان سنة ١٩٥٧ . وقد مضى على اقامتي الحالية ٢٠ سنة . ويزاول اولادي التسول . ويحصل كل واحد منهم على ٧٥٠فلساً — دينار يومياً . ونشتري بها الخبز والسكر والشاي وغيرها .

وتزوجت بواسطة الخطف مقابل خطف اختي عندما كنت صغيرا ،
وبذلك ثأرت لها ، ولدى الان تسعة اولاد . واربع بنات كما تزوجت امرأة
ثانية بشكل اصولي ، وبهذا بلغ مجموع افراد الاسرة ١٦ نسمة .

ولم نكتسب الجنسية العراقية بإعتبارنا قرج ، مما دعا إلى حرماننا من فرص
العمل والتعليم . وفي حالة منحنا الجنسية فاننا على استعداد تام لاداء الخدمة
العسكرية وكافة الواجبات المناطة بالمواطن العراقي .

هناك اقرباء لنا في ادنه نراسلهم بين الحين والآخر،لاأريد أن اترك وطني
العراق وأعود إلى تركية .

عشائر الغجر

يوصف الباحث في الأنساب كالباحث في الالغام وقد يكون لذلك وجهة نظر نتيجة اختلاف الناس بأنسابهم وانتماءاتهم والوانهم، وبدأ هذا التكوين البشري من الأسرة لكونها تعتبر النواة الأولى، فمنها تنال الاسم وعنها ترث التقاليد وإليها يرجع الفخر ومن صلبها الأول ينحدر أبناؤها، وقد تكون هذه الأسرة أول الأمر على ابسط صورها ثم تنموا على مر الزمن ويزداد عدد افرادها شيئاً فشيئاً حتى تصبح شجرة طويلة من النسب سرعان ما تعفوا رسمها الأيام من الاذهان وتتلاشى ولا يبقى سوى مفهوم الأسرة الذي يتعلق به قلوب افرادها ويعد النسب في حقيقته ظاهره مرتبطة بتواجد الشعوب ومجتمعاتهم المبنية اساساً على صلة القرابة صعوداً الى الجد الاعلى، ومن ظواهرها التواصل والمودة والقواسم الثقافية المشتركة بينهم مثل اللغة واللهجة والعادات وينعكس ذلك على تاريخهم ونشأتهم وتوصف الأسرة الغجرية بانها منظومة معقدة تنطوي على امكانات ثقافية واجتماعية يتطلبها عمليات التنمية بالصبر والحكمة.

لقد اجمع علماء الآثار وأهل العلم بالأنساب والسير والأخبار من المسلمين وما وصل إلينا عن غيرهم ممن ينسب ايضاً الى المعرفة بتداول الأيام وانتقالها عاما بعد عام، على ان بني آدم في معمور اقطار الأرض كلهم، بعربهم وعجمهم انتسلوا من ذرية نوح وأبنائه ولم يكن لنوح(ع) ولد أنسل أحد إلا ثلاثة رجال هم(سام، يافث، حام) فمن هؤلاء انتسل الناس واليهم انتسبوا وبهم عرفوا.

اتفق علماء الغجريات على الاصل الهندي للغجر وهذا ما يؤكده بشرتهم ولون عيونهم وقوامهم التي تشبه سكان الهند وافغانستان وهذا لا يعني ان اصلهم من افغانستان وانما قد مرو في طريقهم من السند الى ايران لأن مدينة كابل تسيطر على المدخل الغربي لممر خيبر الواصل بين السند وافغانستان، واستنتج العلماء ايضاً ان الغجر قدموا من الهند هرباً من الغزوات البربرية التي اجتاحت الهند فلم يتحملوا موجات الغزو تلك فغادرت قبائلهم مساكنها متجهون الى هذه البلدان نحو المجهول، وكانت تتألف كل عشيرة غجرية من عدة مئات من الخيم وان الرئيس عندهم ينتخب لإدارة شؤون العشيرة

مدى الحياة والرئاسة عندهم وراثية ومن المواصفات التي يجب ان تتوفر في الشيخ هي حكمته وعدله وقوته ويكون عادة من الرجال المتقدمين في السن وله الحق في اتخاذ العقوبات ومنها الطرد من العشيرة باعتباره الرئيس العام، اما رؤساء العشائر الاخرى فهم متساوون في الواجبات وفي اغلب الاحيان يكون رئيس العشيرة هو اميناً للصندوق ويكون مسؤولاً عن كل مايخص عشيرته تقريباً لذلك هو صاحب السلطة في امورهم وهو الذي يحفظ انسابهم كما انه الذي يعين لهم اوقات الترحل والمناطق التي يرى انها اجدى للرحيل إليها.

ذكر الاستاذ ثامر العامري في موسوعته حول ادعاء البعض من الغجر في انتسابهم الى تميم فيذكر، ان بعض أبناء الغجر يدعون بنسب التميمي ويعتبرون ان لتميم أخ اسمه هميم، وفي الحقيقة ان هذا الموضوع ليس إلا تجني على هذه العشيرة المضرية العدنانية التي تعد من اقوى قبائل العرب، واوضح ان العلاقة بين تميم والغجر لها قصة تاريخية مفادها ان(الاحنف بن قيس التميمي)

عندما ابلغ ان عشائر(كندة) وحلفائها يرومون غزو بني تميم مستغلين بذلك رحيل اغلب عشائر بني تميم الى المرابع البعيدة في البصرة، وكانت استعانة الاحنف ببني تميم يستغرق عشرة أيام فاستعان الاحنف بالفلاحين الموجودين بمنطقة البصرة آنذاك، وقسم من البدو الرحل، وقسم من الغجر المتواجدين في منطقة البصرة عندها قام بعض التميميون بمعارضة الاحنف على ذلك والاحتجاج على استخدام الغجر في تلك المعركة، اجاب بحكمته ودهائه المعروف انهم لو انتصروا على كندة فإن ذلك يعد مفخرة لنا، اما لو استطاعت كنده النيل من الغجر فليس من الأمر ضير، ومن العشائر الغجرية التي ذكرها العامري وسبقه بها الحديثي هي، عشيرة البو خزام، البو ادخيل، البو عكار، البو دلي، البو بارود، البو نصيف، البو عبد، البو سويلم، البو ثنيوان، البو اطحيمي، البو احليو[1]، وهناك ايضاً مجموعات غجرية من القرج تنسب نفسها الى قبائل عربية رفيعة الشأن[2] منهم من يدعي انه من قبيلة بني

١- ثامر العامري، مصدر سابق ، ص٢٦١.

٢- الدكتور طه حمادي الحديثي، مصدر سابق، ص٢٠و١٧٩.

مرة العربية وهناك جماعات من النور في الشمال تدعي الانتساب الى القرشيين[1]وكثير من العوائل الغجرية والقرجية حاولت الاندماج بالمجتمع الحضري فيما انظم البعض لقبائل عربية منتشرة في البلاد منذ وقت سابق بعد تغيير اصولهم وصاروا ينتمون اليها كجزء من نسيجها الاجتماعي بل ويروم بعضهم التسيد فيها.

١- حميد الهاشمي، مصدر سابق، ص ٨٩.

الخاتمة

جميل أن تتكلم عن فئة من المجتمع يجهل أغلبه عاداتهم وتقاليدهم ولا يراود ذهنه سوى جانب واحد من حياتهم لكونه سيء فالناس اعداء ماجهلوه، لذا واجهتنا صعوبات عديدة تصدرها انك تتعامل مع اناس اميين يحذرون كل من يسال عنهم لاسيما الذين يمارسون الاعمال غير القانونية، لهذا ليس بالأمر الهين العمل على تأليف كتاباً عن الغجر لأن ذلك يتطلب البحث والجهد خاصة عدم وجود مصادر تعتمد وتستند عليها سوى عدة كتب وعدة بحوث متفرقة هنا وهناك كل ما تصبوا إليه هو تسطير قصص وحكايات من وحي الخيال على اعتبار إنها عادات الغجر وتقاليدهم فعندما اردنا الكتابة عن شعب الغجر سألنا الكثير من المقربين والاصدقاء ومن عامة الناس ومثقفيهم، أغلبهم رفض هذه الفكرة ومنهم من تحفظ مع تبريراتنا لهم بأن سبق وان تناول مثل هذا البحث العديد من الكتاب والباحثين لكنهم رفضوا من شدت حرصهم، فهم يعلمون جيداً ما هي متطلبات العمل بهذا المجال التي نوهنا عنها أنفاً وبعد تضارب

الآراء قررت أن احتكم هذا الموضوع الى نفسي فحدثتها بذلك فقالت أنت باحث ويحق لك الخوض في أي مجال ترغب الكتابة به فامضي ولا تتردد وحينما قررنا وبدأنا الكتابة بشكل فعلي عن الغجر من اكثر الصعوبات التي واجهتنا وأشدها وطأة كانت من عائلتنا لكونها تخشى تواصلنا مع الغجر (الكاولية) وخاصة مع نساءهم فهي تعلم جيداً ان العمل في تأليف الكتاب يتطلب اللقاء والمحاورة مع الغجريات ومعرفة خفايا حياتهن واين واين حتى خفت منها وطأة الغيرة والخوف،هنا اكتشفت سبب قلق النساء العربيات من النساء الغجريات بما يمتازاً من صفات ومزايا.

المصادر

١- آرثر كريستن: ايران في عهد الساسانيين، القاهرة ١٩٥٧م.

٢- محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، شركة النشر والطباعة العراقية، بغداد ١٩٥١م.

٣- أحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.

٤- عز الدين أبي الحسن ابن الاثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٦م.

٥- الدكتور مصطفى جواد: الغجر في المراجع العربية، مجلة العربي العدد١٢٦، ١٩٦٩م.

٦- علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، الطبعة الثانية دار الرواق بيروت لبنان٢٠١٠م.

٧- أنيس منصور: نحن أولاد الغجر، القاهرة ٢٠١٢م.

٨- ثامر عبد الحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة بغداد ٢٠٠٨م.

٩- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة،٢٠٠٨م.
١٠- الدكتور نبيل صبحي حنا: البناء الاجتماعي والثقافي في مجتمع الغجر، دار المعارف القاهرة ١٩٨٠م.
١١- الدكتور حميد الهاشمي: تكييف الغجر ٢٠١٥م.
١٢- جورج ليان: الغجر اصلهم لغتهم تقاليدهم، دار الكفاح دمشق ١٩٦٤م.
١٣- خليل صويلح : اوديسة الغجر، دار الحصاد دمشق ١٩٩٣م.
١٤- زكي إمام الحويجي: الغجر، القاهرة ٢٠١٥م.
١٥- عبد المنصف أبو نجم: الغجر في مصر، القاهرة ٢٠١٠م.
١٦- رمسيس عوض: الغجر بين المجزرة والمحرقة، القاهرة.
١٧- منير البعلبكي: الغجر، موسوعة المورد١٩٩١م.
١٨- خليل اقطيني: غجر سورية، مجلة العربي، العدد ٣٩٧، ١٩٩١م.
١٩- الدكتور نبيل صبحي حنا: جماعات الغجر، دار المعارف القاهرة١٩٨٠م.

٢٠- الدكتور محمد عمران: موسيقى الغجر المصريين، المركز المصري ٢٠٠٨م.

٢١- الأب انستاس الكرملي: اطلاع الحضر على اطلاع النور، بيروت ١٩٠٢م.

٢٢- الباحث م، ن: الغجر، العدد١١٥,١٩٦٨م.

٢٣- أحمد حسين حسن: آدب الكدية في العصر العباسي، الطبعة الثانية، دار الحصاد دمشق ١٩٩٥م.

٢٤- لطفي شلش: قبائل الغجر، القاهرة ١٩٥٨م.

٢٥- اديب أبي ظاهر: الغجر الرحالة الظرفاء المنبوذين.

٢٦- ستار عبيد المطلك العربودي العنزي: تأريخ بابل وعشائرها، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق بابل٢٠٢٠م.

٢٧- جمال حيدر: الغجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب.

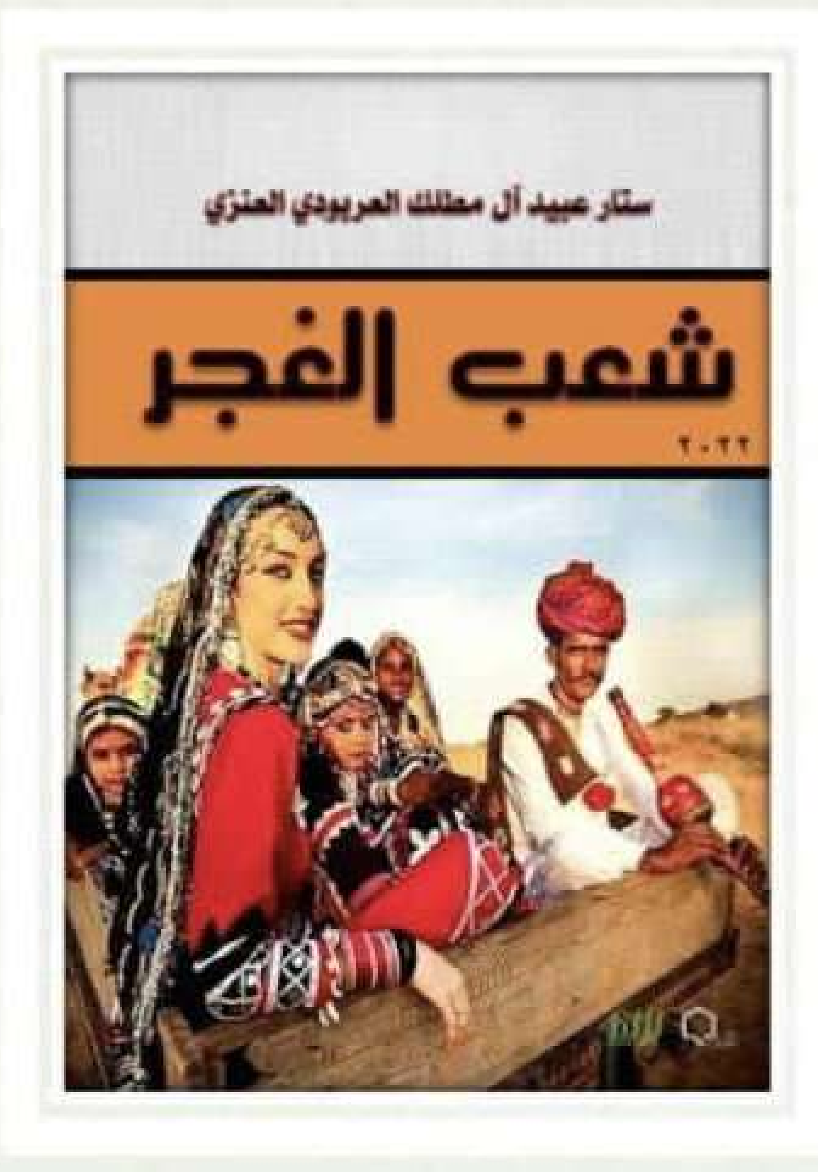
٢٨- مصطفى عمارة: الحقيقة الدولية،٢٠٠٩م.

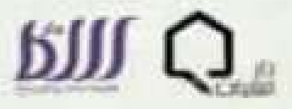
٢٩- علي مهدي القريشي: الغجر وتاريخ مدينة، ط١، ٢٠١٣م.

٣٠- فرهنك انتدراج: معجم الغجر، بيروت لبنان.

المحتويات

شعب الغجر
ستار عبيد آل مطلك العربودي العنزي





دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل
بالاشتراك مع دار سما للطباعة والنشر والتوزيع
ali.abas505@yahoo.com / 07707311570
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٨٢٢) لسنة ٢٠٢٢
Al-Furat House for Education and Information
Iraq – Babylon

